أبناء البكاء

أبناء البكاء

د. ياسر ثابت

تصميم الغلاف: محمد دربالة

رقم الإيداع: 2018/26879

I.S.B.N:978- 977-6640-51-1

الطبعة الأولى 2019م

زين للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

د. ياسر ثابت

أبناء البكاء

زين للنشر والتوزيع

إلى ابنتي إسراء

أنت لا تروي عن عود النعناع شيئًا، لكن رائحته

الزكية تكتب سيرة أيامك

مقدمة

الحياة ليست كابوساً لتستيقظ منه، أو مسرحية بوسعك مغادرتها بعد الفصل الأول.

إنها بيتُ أيامك وسكينُ موتك، الذي تشحذه الثواني على مهل.

وفي ثنايا هذه الثواني، ينام خلقٌ أنت منهم وهم منك، حتى وإن تباينت الرؤى واختلفت الملامح وتباعدت المسافات.

إنهم هنا، في روح روحِك، سواء أأحببتهم أم بغضتهم.

هذا كتابٌ عن بشر تركوا علامات. شخصيات عامة كان لها ضوؤها الساطع حتى صار هؤلاء من المتون الكبرى في جيلهم، أو أصدقاء ورفاق تقاسمتُ معهم شغفَ الليل وشجنه وافتضاض الأسرار والشجار العاطفي.

أعرفُهم جميعاً، حتى من دون أن أعرف أسماءهم. الوجوه عناوين وهوية، أما الأسماء الغائبة، فهي لغرباء ودودين، يسكنون في قلبٍ يألف عاداته الغريبة.

أراهم يمرون تحت نافذتي، تاركين حفيف حريرهم، وتواقيع تنهداتهم وأثر حكاياتهم الشفيفة، قبل أن يذوبوا كدمعةٍ في البحر وورقةٍ في عين الخريف.

بعضهم رحل في اللحظة المناسبة. لم يتأخر دقيقة ولم يتقدم ثانية.

كيف نعرف أنها «اللحظة المناسبة»؟

يا له من سؤال شائك، لكن إجابته الصادقة قد توجعنا.

الأيام نارٌ غير مرئية لا تُمس، لكنها تجيد طمس ملامح الكثير من المنذورين للنسيان.

غير أن هناك من يأبى الرحيل. يقاسمك أيامك وأحلامك، حتى يصير تاريخك غير المدوّن.

أعلَمُ أنه لا يزعج الموتى سوى الأحياء، لكنني مضطرٌ إلى تكرار هذا الفعل المؤلم: التذكر.

والذاكرة هذا الصوان الشفاف، ماموث ينقرض، تاركًا حفرياتٍ مذهلة تحت طبقاتٍ من جليد، لكنها، في الوقت نفسه، وصفةٌ مثالية لرتق خروق الحياة.

يبقى التذكرُ إصرارًا على البقاء على قيد الحياة، حتى وإن كان في عيوننا كل الانطفاء الممكن.. وفي المآقي ميراثٌ ثقيل من ملح الندم. والذكريات سرب جراد يخفق فوق نافذة موصدة، فإن فتحناها بكتْ على الإفريز نهايتَها المباغتة.

يحدث أحياناً أن يجتاح قلبي المُدمى ندمٌ ناضج. مثل شجرةٍ قطعوا ظلها، فأصير كالصمت الذي أرهقه الكلام.. لكنني اليوم أتكلم وأتألم، وأترك لكم الباب موارباً لكي تقرأوا أيامي وحكاياتهم.

هذه شخصياتٌ من لحمٍ ودم، ومن مدحٍ وذم، لكنها تُرمم ملامحها داخل النصوص.

أكتب عنهم، بعد أن امتلأت بئرُ النفس بزيتِ التجربة.

أكتب عنهم، وربما لهم؛ لأن لذة الحياة هي أن تُحرر الكلمات منك وأن تهدي الآخرين بوح ذاكرتك، كلما اشتهيتَ خرائط الحلم وحين تعبر قوسها المذهب. لا تتطيب الحياة إلا لمن يتهيؤون للعيش، عالمين بأن أثمن ما في أيديهم هو الزمن ووجوه الآخرين.

أكتب عنهم، وبالتأكيد لهم، مع أن بعضنا صرخةٌ منسيّة، يعطس الخوف عند بابنا فيُشمِّته الحزن. وبقدرٍ لا يستهان به من الأريحية والسخاء، رويتُ حكايتي، فقط لكي أخلق العالم كما أراه، وأرثيه بشكل لائق.

أكتب عنهم، وأنا عالقٌ بين فكرتين، أن أحكي عن كل ما يبدو للبعض تافهاً مثل زرٍ وقع من قميص، أو جوهرياً، كخطأ لغوي أو خوفٍ أزلي، أو أن أصمت عن تفاصيل تخص هؤلاء وأمضي بقية عمري بصوتٍ مبحوح.

ولقد اخترتُ الحقيقة كاملة!

لا بأس في أن تروي بكل التلقائية غير المحاذرة للأخطاء والخطايا، وأن تطفئ الحريق بالملابس والمعاطف القديمة، حتى وإن صرتَ متلبساً بالنار ومعاقباً باللسعات.

في زمنٍ مضى، كنت كلما اهتزتْ غرفُ القلب، أتساءل: لماذا على الزجاج دوماً خدوش البارحة؟!

كنتُ كلما فقدتُ عزيزًا، أخذ مني بعض روحي وحفنة ذكريات، فما الذي تبقى؟

الآن أعرف الإجابات المثالية كلها.

فقد ذهبتْ الروحُ وراء المدى تاركة وراءها جسدًا قلِقاً فر من عتبة الوقت مثل ملاكٍ خاطئ يتعطش للتوبة، لكنه يتأبط الحياة كهديةٍ عابرة.

أسطِّرُ هذه الكلمات وأهتف: أيها المنصرفون بلا ضجيج، أود أن ألف أحلامكم في حرير غيمة زرقاء، وحين ينسدل الليل رقيقاً حنوناً سأغمض عيني وأنصت برهافة إلى ألحان أفئدتكم النابضة بالأمل.

حتى الذين استخدمتُ معهم مشارط القسوة، كنت أحِبُّهم بطريقة أو بأخرى.

هذه الكتابة هي حَجَرٌ أزحتهُ عن صدري في الوقت المناسب. مثل دَينٍ يَلزمُ سداده. ليس الدافع هنا هو تصفية حسابات مع ماضٍ عشته، وإنما هي محاولة لإنقاذ حكايات وتفاصيل كثيرة من حريقٍ شب في متحف النسيان.

نحكي عنهم، ونحن لا ندري كيف سنمنع دموعنا من الاحتراق على وجوهنا.

أما القارئ، فهو عبر متابعتِه لقائمة الأسماء وتفاصيلها، ستنبتُ له عينٌ ثالثة ترى هؤلاء الذين تحدثت عنهم من منظورٍ مختلف. قد يلتقط بين سطور رحلة البعض سخاء العطاء والبذل، والتفاني في البناء والتشييد، وجهد الحفاظ على القيمة والجدوى، مع الحس الإنساني المرهف. وربما يجد في آخرين مثالًا صارخاً على من تغريهم البهجة ويستهويهم الزيف، من أهل تسطيح العقل وخواء الوجدان.

وهذا حق القارئ ورأيه الذي لا ينازعه فيه أحد، مادمنا كتبنا عن الجميع بأسلوبٍ مقتصد، زاخر بالمعرفة والكشف، تاركين لهذا القارئ مهمة تشكيل رأيه النهائي بذلك الوعي المقتحم المكتشف الذي نرجوه فيه.

هنا نصوصٌ تترنح وقصائد تعرج، فيما جثتي تركض. وحدها الحروف تمشي بثقة نحو المقبرة من دون أن تترك لمن ينظمها ولو كلمة وداع!

ولأنني أتيتُ من الشعر إلى السرد وأراوح بينهما، فإنني أستحضر الغائبين الذي عبرني موتهم، وأفتقد الأحبة، وأشحذ سيف النقد، بلغةٍ

تتأرجح بين الشعرية المتوهجة والسردية الوصفية الدقيقة. وإذا كان كتابي هذا يصعب تجنيسه في أي من الأقانيم المتعارف عليها في جغرافية الأدب، فإن تصنيفه يبدو أسهل عند النظر إلى مجموع النصوص المكونة له، التي تُشكل وشيجة شديدة الالتحام بعضها ببعض.

وحده الكاتب تحت ثيابه كلامٌ كثير، وعلى كتفيه تنمو الحدائق، صوته تمتمة الماء، وأنفاسه الغابة. وكأي مُسَرْنم، فإنه يحتفي بالرؤى أكثر من الوقائع.

وحده الشاعر يغفو ما بين السطور ويصطلي بحروف كلامٍ نسي القافية. ينسجُ أفكارًا تتراكضُ لاهِثَةً وتتلاقى في خيوطِ النُّصُوصِ، ورحيلِ الوقتِ.

بُراق المعنى يسابق المدى، لكنه يحاذر السقوط في أوحال الكلام الممطوط الأطراف وعبارات الطين المراوغ وفقرات الملل التي تشبه مسرحية قديمة مقررة في الأعياد، حفظها المشاهد حتى زهدها.

ذلك أن الكاتب الذي لا يُجدد في لغته وتجربته ليس سوى نزيل في سجن الحياة، يتسلل منه بحذرٍ كل ليلةٍ عبر نفق سريّ يعود به إلى زنزانة أخرى في السجن نفسه، ليكون عليه الهرب مجددًا!

إن الكتابة الجادة عناء، لكن جائزتها الكبرى قارئ واعٍ وذكي، يقرأ ويستوعب ويحمل الشعلة نيابة عن الكاتب، الذي يسكبُ روحه على الورق، بعيدًا عن مِنَصَّاتِ الخطابةِ، ومقاعِدِ السَّامعين، والمناضِدِ المُهْمَلَة، وَشظايا المجاملات السقيمة.

ولأن الحياة روائيٌ عبثي لا يكمل روايته، يهدي فصولها للريح والعدم، ويصنع منها طائرات ورقية تستقر على أسلاك الروح

الشائكة.. ولأن البشر أفضل كائن يقفز فوق الحواجز والموانع، بخيالٍ جامح وذاكرة عفيّة، فقد أهديتكم هذه السطور التي تستخلص رحيق حكمتها الخاصة:

بعض الكلمات تبني جسور المودة، وبعضها الآخر تنسفها، فاختر ما تصنع.

أتمنى لكم قراءة تجمع بين الفائدة والمتعة.

ياسر ثابت

القاهرة

7 ديسمبر 2018

Email: yasser.thabet@gmail.com

أم كلثوم

صوتُها رنينُ الأزمنة
صاعقة الولع
وأفران الحنين
وآهات الجُرح البليغ
نخلة باسقة تغني،
حتى وهي تقف صامتة
وسط العازفين!
منديلُها قنديلُها؛
إذ تثير حسدَ الطيور
حتى وهي تلقننا أدوار الخسارة
إن «فات الميعاد»،
أو توصينا بأن نشد أكمام الغرباء
ونفشي أسرار حُبِّنا
في «أغدًا ألقاك»!
هي المنارة
التي تُنقذك من المتاهة
في «أنت عمري»،

تردد «هجرتك»

كأنها نغمةٌ شاردة

ابتلعها نفَقٌ طويل،

وحين تنشد «الأمل»

تكاد توقظه،

بصوتها وصمتها

تتبادل مع العشاق والكورال

أنخابَ الغرام؛

سيدة القصائد،

تطلي أحبالها الصوتية

بالنهر والطمي

وحرية تطرق الأبواب المغلقة

وتدق على الجدار

ثم تَتَنَزَّلُ على المكلومين والمظلومين

مائدة للرحمة

وكعبة للطمأنينة؛

هي كوكب الغناء

الذي يطل مِن شُبَّاكِ الكون

ويهبط في الأمسيات

ليتقاسم معنا رغيف السهر

ويربتُ على كتف الهوى

ويغني باسم كل عاشقٍ لمحبوبته

حتى تصير جارية لعينيه

وتجعل ثغرها على نحره؛

«الست»،

التي تشدو

فتتعثر في طرف ثوبها

وهي تصنع صندوق أحلامك

وتبني بصوتها نصف الثملِ جسرًا

يمحو المسافات بين كل البعيدين

هي آية الصوت

التي تبعث الأشياء من رمادها

وتمطر على طحينها المنسي.. فيختمر؛

إذ تجسد لنا كُنهَ الألم والأمل

وفرحة اللقاء ولوعة الفراق بشرًا مثلنا

كأنها صانعة الخطوط الواصلة بين النجوم،

معها يتدفق الإدغام المحكم المتأني الواثق،

والوقوف على الحرف بثباتٍ وثقة،

رغم الاستكانة والرجاء،

ثم تمتد المسافات الطويلة

التي تقطعها أذنك

عندما يعلو النشيد أو النشيج

قبل أن تكسر قيد الانتظار!

أم كلثوم،

لم تبق لنا مع «الأطلال»

أظفارٌ لنقضمها

فصالحينا على الساعات

وعلَّمينا كيف ننجو من الغناء الملفق..

ووجع الفراق

أسمهان

على مَدّ السماء
تصدح أسمهان
كأنها وعدٌ مُصان،
وحين تعتمر الأساطير
وتغني بشامةٍ تحت الفم
«ليالي الأنس في فيينا»
أو تدندن نشيدًا
يُفرجُ عن جناحيها،
يتدافع الليل فوق التلال
وتغرق عناقيد العنب في حلاوتها
وتأتي القداسة على هيئة صوت،
تختلط فيه رائحة القهوة
مع القرفة والمشمش،
أميرة الجبل
تمارس لعبتها الخاصة الممتعة
بطبقات صوتها الحانية المبكية،
وتلاطف الكلام والمقام

بحنجرةٍ من ذهب،

الآن النهرُ وحيد

في قاعه حصى الخيبات

تنام كالتمائم،

والجحيم

دوماً في الجوار

وبذرة الصوت العبقري

طمرتها الآلهة،

لكننا، نحن الأنانيين،

لا نصدق تلك الخرافة

في الليل

نستعيد الصوت

والإيماءة غير المصقولة

والمعجزة المرتجلة،

التي حين تسمعها

تنسى نفسك.. في نفسك!

لغة فيروز

هي التدفق الخالص للزمن

والموسيقى التي تترقرق في نبعٍ قديم

قبل أن يختزلها الصوتُ بقبلةٍ واحدة!

قيثارة الوجود تفيض في «بيت الدين» بعودها الرنان مثل أغنيةٍ مستحيلة،

في الأيام التي نكون فيها شمعةً مطفأة

يتطلب الأمرُ معجزة وجهها الصغير المضاء،

حتى نورقَ بالتخيّل وتسري الحياة في أرواحنا مجددًا،

فيروز..

التي كلما رتَّلَتَها جوَّدتك..

قد يعيشُ المرء ليسمعَ صوتها، الذي يسبغ على الحنين صفة الوجود

تُذيبُ نيَّاتِ الأغاني وتدَنذِنُ بهِ الأحلام الناطقةُ من عينيها الآسرتين

تغوي وتغري كأنها ذاكرة لها دموع

وحين تغرد، تُسقِط عن أرواحنا الأحزان

تلك «الميتزو سوبرانو»

المحلقة كالعصفور فوق الحريق،

لامعة النبرات بصوتها النقي من كل شائبةٍ،

يغبطها الجمهور ويحسدها الميكروفون،

حين تتوشح بالموشحات، أو تترنم بالتراتيل، أو تشدو بالموال والقصيدة

و«حامِلُ الهَوى تَعِبُ. يَستَخِفُّهُ الطَرَبُ» كما غنت هي لأبي نواس،

«زهرة المدائن» استقرت في وجداننا، حين غنت للسلام والجبل والأحلام

وتذكرت مصر، وسوريا، وعمان، والقدس.. وسقوط الأندلس

تمتلك رقة فراشة تراقص زهرة

اسمها حجرٌ كريم، له فرادة اللون وبهاء المنظر

حين تناديك أو تحكي لك، لا تبحث عن قلبك حينها

تنكأ جرح العاشقين بصوتها ولهجتها الناعمة كالحرير

تحمل لك الدهشة المبهجة، تلك المختبئة خلف الظهر كباقة

هي رفيقة السهر، وقهوة الصباح

في الليل تتخفف من ثياب الحزن

وفي النهار تُخرج الشمس من زنزانتها

في كل وقت، تكون هذه الوردة لائقة بصدورنا

ويكون الهدوء سيدًا

معها تسكن الأغنيات في بؤبؤ عينيك، فتبصر

تغني فتلمسها أناملنا

وتهمس كأنها تراود أحلامنا الخفية

تنام أغنياتها في حضنك

قطة شيرازية وديعة

فتغرق الموسيقى في النعومة

وترقص الكلمات التانغو

مع ظلنا

حتى تند عن ملائكة صوتها

تنهيدةٌ

تجعل أجنحة الطيور ترتجف

فيروز لم تعد صوتًا بل لغة

أيتها المجرة،

شكرًا على فيروز مادامت الأرض تدور

فيروز،

كل عام وأنتِ.. أنتِ!

كيمياء السعادة

هذا هو صوتُ الطمأنينة، الذي يُربِّتُ بيدٍ على كتف العالم، ويقاوم باليد الأخرى آلة تمجيد النشاز

«عُرّبه» آية الحنين التي تجرفنا جميعاً، والتنهيدة التي فرت من أضلاع مصر

صوته الغرّيد طريق، وشدوه إباءُ الحُرّ، وكبرياءُ الوطن في وجه ريحٍ عاصفة

محمد محسن،

هذا الشغف السماويّ الذي تكتمل به كيمياء سعادتك

غناؤه الشجي، ربتةٌ حانية، ونسمة منعشة تجعلُ الهواء الأسود يفرُ من الزوايا

نظرته الأيقونية التي تلخص جيلًا كاملًا،

تنام في حنجرةٍ تُذوِّب الأسماء

وتنجب من خشب المشقة

أشجارًا جديدة للذكاء

عينان غارقتان في الحبر

مثل نافذةٍ مضاءة بالأسى

«من زمان جدًا»..

هو:

كنزنا المدفون

في أرض روحٍ تتقد،

وحدتنا الطويلة،

في حدائق صَّبَّار مهجورة

براءتنا الزكية،

التي تستعيد أرجوحة الطفولة

دمعتنا السخية

التي تنتقي موتاً مناسباً

ينقذ أجسادنا المثقلة باليتم،

في «ضحكة صغيرة»

الفرحة ترتعش

أمام سكينٍ تعانق الجسد،

وفي «بندعيلكم»

نطالع أسماء تخثرت في دفاترنا القديمة،

وحين يأتيك «الليل لو يطول»

تهطل الذنوب من سقف غرفتك،

وبجبينٍ يتجعّد من الحزنِ

يرثي «بلدك بعيدة»

أو يستنهض «يا شعب»،

كأنه يحذرك من أن الخائب أخطر عليك من الخائن،

فتكتشف أنه

-حتى بشرايين معطوبة-

يمكن أن توقظ الحياة

الملقاة على رصيف الوطن

ذياب مشهور

قمحُ دير الزور
وآية الفرات التي تنزّلت علينا
بابتسامةٍ يخدشها الحياء،
عصفورٌ يئنُ في السجن
برسائل شوقٍ
يرفُ لها الحمام،
يُموّهُ بالموال تارةً
وثياب الصبر تارةً أخرى
فلا يصمتُ
قبل أن ينجحَ في اختبار الكبرياء؛
ذياب مشهور
نارٌ في الحنجرة
دونَ افتعالِ الحريق

مطربات اليقين المُزعزَع

موّالُ الهاتف لا ينقطع
ولا أحد يرد،
في مصيرٍ مثالي
لكائنٍ وحيد
مسكونٍ بالضجر،
أتشاغلُ بالتساؤل:
لماذا كانت سزاريا إيفورا
تُصِرُ على الغناء حافية؟
هل كان لحمُ قدميها
ضابطَ إيقاعٍ خفيّ؟
لماذا وثِقَتْ أسمهان
في سائقها حدَ الموت المدبر؟
هل كانت تواعدُ مصيرها سرًا؟
ما مدى إسهام الكوكايين النقيّ
في صوغِ إيمي واينهاوس
«Back To Black»؟
لماذا لم يكن قدرها سمحاً

بما يكفي للتخلص

من بليك فيلدر- سيفيل

وكل علاقات الحُبِّ اليائسة؟

كيف حنطتْ ليلى مراد الغائبين

في متحف قلبها، حتى الرحيل؟

هل كان ظهورها مع بليغ حمدي

صفعةً على وجه الشائعات؟

وأي جنيّة ألهمت بليغ نفسه

فن الرقة والرهافة في ضفيرة اللحن

وحلاوة الثمار التي تتقدس بين أصابعه؟

كيف جعلتْ داليدا

من أوجاع القلب والحُبِّ المستحيل

كومة من الهدايا؟

كيف كانت تصدُ الرمل

عن حَلقِها المأزوم ما بين باريس وشبرا؟

وهل كانت «سامحوني الحياة لم تعد تحتمل»

استغاثتها الأخيرة؟

ماذا عن إديث بياف،

والتهدّج السريع الواسع في صوتها

الذي يتدفّق منه حرف R كشلال ماء بارد؟

من علَّم «العصفورة الصغيرة» بثوبها الأسود

أن تعيش حياتها باللون الوردي؟

فيمَ كانت تفكر ديبي هاري

وهي تترك زجاج صوتها

مُلقى في غموض الغابات

وفوق البِرك المتعطشة؟

هل كانت سعاد حسني

في «بانوا.. بانوا»

سندريلا ببطنٍ ضامر

يحلم بجنين؟

وكيف كانت تهيئ فساتينَها في الأغاني

لاستقبال كلمات المعجبين؟

وهل يَقبَعُ شَّالُها المُتَوَارثُ الآنَ

في خزائنِ معبدٍ سريّ

يرتاده عشاقُها؟

كيف أسدلتْ ويتني هيوستن

على مُهجتها غِلالةَ الأَمَلْ

ثم تركتْ كل السفن تمر

دون أن تراها؟

من أي ينبوعٍ ينبجسُ الحنين

الذي لا يفارقنا في قوة الغناء؟
لماذا تسافر الأصوات الجميلة
تاركة بقايا يقينٍ متزعزع
على المقاعد والوسائد
والمسارح.. والأضرحة؟
للذاكرة حموضة لا تطاق،
وأنا لم أعد أملك مفتاح البيت
ولا الأجوبة!

اللحن الخفيّ

يأتي من الغيب البعيد

كأنه اليقين

يتوق للون والجمال

ويمقت الغبار

يمسح على جباهنا

نحن المتعبين

مثل سحائب الرحمات

وينصح قائلًا:

لنكن اللحن الخفيّ

الذي تجهله الموسيقى

وتضن به الآلات

حتى على العازفين؛

لنكن بهاء القرمزي،

الذي راوغ الأحمر

وغار منه الأرجوان

فحبسته عصبة الألوان

في إطارات النوافذ

وفوانيس الصغار

قبل أن تحرره

أحلام البنات؛

لنكن

ثمرة المحاق

التي غرقتْ في عالم السوائل

كي تخبز

فطيرة الظلال الوارفة

وتركل تخوم الضوء

لتشيع سلاماً غامضاً

كأشباح الانجراف

عبر بحر من هدوء

روحٌ مرسلة

إلى الشيخ عماد عفت

بسمته بسملة
كما لو أنه يسخر
من التناقضات
التي وسمت حياتنا،
وعمامته
في بياض روح مرسلة
ثار ضد عبيد الشراهة
وأرباب المهن الخسيسة
والأهداب المستعارة
والفِطر المسموم
في القصر الكبير
ثار، حتى قنصه
الغدر في الميدان
هل أراد الجناة
اختبار صلابة رأسه
أم اغتيال روحه الطاهرة؟!

صنعتْ مصر
من دمه لون الأقحوان
غسلته بعصارة الياسمين
والزنابق وزهر العسل
ودفنته في قلب قلبها
والذاكرة
فهذا الألق
به لمسةٌ من سماء سابعة،
كان درسه البليغ لنا:
المجد للموتى
في أوطانٍ
يغزوها الجراد
وتذروها الأسئلة!
رحل الشيخ الثائر،
لعله الآن
يؤنس وحدة الملائكة

محمد خان

أخذتَ نظرتك ورحلت

هل ستصحبك الموسيقى التصويرية أيضاً؟!

على أي مؤشر ستدير المذياع كي تنام راضياً قرير العين كأنك طفل «خرج ولم يعد»؟!

هل ستسند روحك المسهَّدة على صخرةٍ مطمئنة، حاملًا تحت إبطك سيناريو «زوجة رجل مهم» أو أفيش «أحلام هند وكاميليا»؟

هل يهدر في بالك البحر ورواد الشاطئ «قبل زحمة الصيف»؟

أم أنك جالسٌ فوق غيمة العدم، تراقب المتسوقين في «سوبر ماركت» الحياة؟

نصف هذا الوزن كان بهجةً لا تغادر سنينها الأولى

ونصفه الآخر هدايا من الجمال المصفى

«طائر على الطريق» لم يبرأ من الدهشة والفضول،

في «عودة مواطن» تفتح بحنانٍ الأصابعَ المطوية لطفولتنا الضائعة

وفي «فتاة المصنع» تخبز ياسمين رئيس وجمالها الحارق،

حتى «في شقة مصر الجديدة» كان البطلُ الغائب ساعي بريدٍ أنيق، يحفظ السطور من النسيان

لكنك يا ملك «الكادر» ضبطت الصورة أكثر من اللازم هذه المرة،

فألقيتَ علينا تحيتَي الصباح والوداع معاً

هل لديك «موعد على العشاء»

أم أنك ستحتسي قهوتك المضبوطة مع أحمد زكي لتستأنفا مشاداتكما العبثية؟

وهل ستحتضن عاطف الطيب ورضوان الكاشف وتحتويهما بين ذراعيك كأخٍ حنون؟!

محمد خان،

أيها المصري الحالم المعترض،

«الحرّيف» الذي يركل الانكسارات بعيدًا،

كأي «كليفتي» سعيد بعزلته القاسية،

نهار القاهرة يعزف أنينه..

والسينما الآن فقط تفقد «فارس المدينة»!

سعيد صالح

أكله الذئب!

والذئب هنا هو جنون الفن وعبث الحياة.

ها هو سعيد صالح يثبت لنا مجددًا أن «العيال كبرت».. وهرمت وماتت؛

يونس شلبي

أحمد زكي

..والآن سعيد صالح.

رحل أبناء رمضان السكري واحدًا تلو الآخر.. تاركين في الذاكرة ضحكة وفي القلب حرقة.

سعيد صالح، محطة مهمة في تاريخ الكوميديا المسرحية، لكن نهايته التي تليق بمأساة إغريقية تستحق التأمل.

لا خلاف على أن سعيد صالح كان موهبة كوميدية فذة، تفوق عادل إمام بمراحل.

تلقائية وخفة ظل واستمتاع بالعمل قبل إمتاع المتلقي، كأنه عصيدة الشوفان والعسل.

ابتسامة حقيقية من دون سلطة أو أوهام.

بعد انطلاقته الصاروخية، أهدر سعيد موهبته غير المتصنعة، باختيارات فنية متواضعة في أحيان كثيرة، وحياة بوهيمية مرتبكة.

عاش عالقاً بين نار أفلام المقاولات وجنة المسرح. كلما شق سماءً، تاهت منه الغمام.

في التيه، مر بمحطات كثيرة من التعثر والفشل في إدارة الموهبة الثرة.

مرسي الزناتي ..

سلطان السكري ..

بركات الدمنهوري..

كعبلون..

سعيد صالح هو ضحكتنا التي نفقدها.. ونفتقدها.

تركنا وفي ذاكرتنا إجابته الذاهلة والمذهلة على سؤال «تعرف إيه عن المنطق؟».

وداعاً يا سلطان البهجة.

عمر الشريف

النساء اللاتي تنسدل فساتينهن المرحة
على قاماتٍ مثيرة
مثل شهقة الشواطئ،
ويضحكن طويلًا كأنهن الضياء
غادرن
وتركنني وحيدًا
أنا الذي تاق
إلى الطائرات الورقية
شرط أن تحملني
إلى حيث أبغي!
ها هو الوادع القديم،
يرحل بعيدًا
ويزول التخوف
أتسربُ في الغيوم
بلهجتي الرقيقة
وشامتي السوداء التي اختفت
وسنواتي المطارَدة

بالبريدج والنساء والمغامرة

يحل ميقاتي وأمضي

في مساءٍ

رصّع السكينة بالنّجوم

لا ريح في أيّ مكان،

فقط «فاتن»

ضفيرة الفرح في كل وقت

التي أحبّت طائر لقلق هائم،

نسمة العطر

ذهبتْ إلى هناك

كالندى، تَحِيّة الماء

وها أنذا ألحق بطيفها الأنيق

نور الشريف

عَبَرَ إلى أزمنةٍ أخرى

لمسته يدٌ خفية

فاختفى

ها هي شجرةُ العاصفة

تُسقط ورقة «نور»

شرع في الموت بطيئاً

حين قال له المرضُ:

خُذْ قَلْبَكَ

وارحل

شيء ما ارتطم بأرواحنا

حين أزفت ساعة الوداع

غصةٌ ما أصابتنا

حين حزم في حقائبه شخوصه:

«كمال- الطالب الجامعي»،

«شمس- المصور الصحفي»،

«ناجي العلي- الرسام المقاوم»،

«الدكتور حاتم زهران»،

«سماحة الناجي- الفتوة»،
و«شحاتة أبو كف- الكابتن»،
لكنه بقي على الدوام
«نور»
خفة الهواء
التي تزهر قرنفلة الوجود
وديعٌ مثل قافية مرنة
وصلبٌ مثل أرصفة المشاة
لينٌ كماء المطر
ومتدفق كموجةٍ مباغتة
هذا المسافر مع النجوم
أداؤه السلس
نبتةٌ تولد فينا
نحن الذين أحببناه
وعرفنا منه
كيف تهطل الدماثة
وتسيل في أخدود الحياة
حين تَهِلُّ ابتسامته
كانت تُويجاتُ أيامنا تُضِيءُ
وها نحن،

حين يفاجئنا الغياب،

نمسك وردةً من ملح

ونلوح بمنديل وداع

ثم نغوص في رحم الحزن

مثل أجنةٍ تائهة

خالد صالح

خذله قلبُه فمات.

رحل، من دون أن يُكمل حبكة حياته الخارقة.

وحش التمثيل الذي أبهرنا بأدائه في «أحلى الأوقات» و«هي فوضى» و«تيتو» و«الريس عمر حرب»، كان أيضاً «فرعون» و«الريان» و«سلطان الغرام» على الشاشة الصغيرة.

مجذوب السينما الذي يمثل بكل جوارحه، ترك لنا بعض أجمل المشاهد الدرامية في العقود الأخيرة.

يعرف سارقُ المشاهد بحضوره القوي، أنه خارج متاهة النص، مثل المجازات المتجسدة والاستعارات المتفردة.

يدرك المتعجلُ في الرحيل، أنه كلما تكلم، وزّع صوتَه بالتساوي بين همس الصوفيين ومقام الصبا والهزام.

عبقريته السينمائية تخاطبنا: هل أعجبتكم صوري؟ هل انطلتْ عليكم بهجتي الزائفة؟

هذه صورُ لاهٍ عن شجونه، وتلك بهجة هارب مما يحتشد به من حزن.

هل حرّره الموتُ من نرد الخسارة ومروضي الهراء؟

هل أراد أن يختبر فداحة الغياب؟

موهبة أخرى تغادرنا بقسوة لا تُحتمل.

فيروز الصغيرة.. لم تكبر

فيروز الصغيرة

طفلتنا التي لم تكبر

أغنيتنا التي لم تذبل

دهشتنا التي لم تفتر

وضحكتنا التي لم تكتمل

على الشاشة

كانت الشقاوة التي تتسلق أرواحنا

والضفيرة التي تلتف على أيدينا

والحنجرة الجاهزة

تذهب بك إلى أبعد مدى

من البهجة والطمأنينة

ثم تغمز لك

بعينين

تومضان وميض قنديل

تشرئب له الأعناق

كأنه الجهات،

فيروز الصغيرة

غيمةٌ تتسكع

بجوار أنور وجدي

وتُقشِّر أحلامنا الزائدة،

بنعومة ملمس

كرات اللبنة الغارقة في الزيت،

في طفولتها

تصدقت على رئاتنا بنسمة هواء

خبأناها في معاطفنا

قبل أن يفضح الشباب

ملح ابتسامتها

فنحفظها في جبل الأمس

لوحةً من خيال

ترقص لنا

وتغني

«معانا ريال»!

ملك عاصم

دع عنك الجميلات والوسيمين ونجوم الإعلانات المستنزفة في دراما رمضان 2017.

فقط انتبِه إلى ملك عاصم في «هذا المساء».

ستتعثر بها مثل حلمٍ مؤجل، قرّر الوثوب إلى حاضرك.

بتلقائيتها المدهشة ونظراتها الحاشدة المهيمنة، المثقلة بالألم والندم، كسرتْ سخافة الصورة النمطية للطفلة في أعمالنا الدرامية.

نظرات «نور» تُكمِل ما لا يقوله «سمير» و«أكرم» و«سوني» و«تريكة» و«عبلة» و«تُقى» و«فياض» و«حامد» وتنقل ما يشعرون به.

ناضجةٌ في صورة صغيرة.. بوسعها أن تمنحك حلوى اليقين أو تحطم هويتَك الوحيدة الهشّة في مشهدٍ واحد أو لقطةٍ عابرة.

بينما كان على الآخرين أن يُظهِروا حماستهم العارمة، قررتْ «ملك» أن تُمثل الحكمة المتأنية؛ إذ تفتحُ مظلتها فيسقط الجميع.. عداها.

إلماحة عين مضبوطة، سواء أكانت نظرة قوسٍ متوتر أم كانت بريئة مثل ربيع الفضائل.

حتى في لحظات الجزع والفزع، دارتْ بنا الدنيا، قبل أن تدور بها.

إنها الضحية البريئة.. تفكّر بصفاء مثل أصداف الفينوس، وتصطاد الأسئلة المنطقية، لتلاحقك بإلقاء متكسر بهدوء ورتابة، مثل خيبات أملٍ خفيفة متصاعدة النبرة.

فإن كذبتَ عليها أو حاولتَ خداعها، تركتكَ مأخوذًا بنظرة لومٍ ولؤم، وانزوتْ في غرفتها كي تروّض جرحها المكتوم.

وجهها المنمش يشبه تين الفيوم، وقلبها زهرة صبير لم تطلع أشواكها بعد.

ابتسامتُها البريئة تُبدد كدرك.. وإن ضحكتْ، قال لك لسان حالها: لا تخطئ الظن، مازالت في عقلي دفاتر بيضاء وقصاصات ملونة.

وحين تقفز على درجات سلَّم بيت العائلة، تدعو الله ألا تزلق قدما هذه الروح العذبة الشبيهة بالذهب، والمنسابة في نقاء الملامح.

كيف تُبدِّل من ملامح وجهها؟ أي تدريبٍ خضعتْ له حتى تقنعنا بأنها لن تتعود على النسيان؟ كيف تصير نظراتها بحيرة هادئة وتلتمع جبهتها مثل حجرةٍ تشع بضوء القمر؟

الغصن الغض يأخذ الشكلَ الممنوح له

ملك عاصم.. ابنة قلوبنا المغلقة، التي تنفخ في ناي الموهبة.

ملك عاصم.. كل حروف النداء.

ملك عاصم.. دربٌ مؤسس للأمل!

ليلة غادة على انستغرام

غادة عبدالرازق جسدٌ جارحٌ، يحمل نَدْبته.

طُرقاتُ منبوذة، كشفها بثٌّ مباشر على انستغرام ليلة 30 يونيو 2017، مع عينين طافحتين بالنعاس، ونهد أيمن متمرد على قميص نوم متسامح مع هذا الانفلات.

في تلك الليلة، وذلك المشهد، تقلبتْ غادة على سريرها أمام عدسة كاميرا هاتفها المحمول، لتتحرك معها ذراعان ممتلئتان بانسياب مغرٍ فوق الوسادة البليدة، التي تشبه وردةُ في ساحة معركة.

فوقهما بقليل احتشد اللحمُ الغزير، بلامبالاةٍ مستحبة.

كلما اختفتْ عينُها اليمنى أسفل خصلة من شعرها، مدتْ يدَها بخفة وأزاحتها. وحين ارتفع حاجباها وهي تتكلم بلغةٍ لا تخلو من سطوة الأنوثة، هبط ثديها، كأنه يرد القُبلة لأحد المعجبين.

كان النهدُ المتمرد، المعتز بنفسه، المستعد دائماً، الفخور بذاته، يقول للمعجبين: لا، أنا لا أطيق البقاء هنا، سأرتدي أجنحة، وأطير، أنا عصفور الاشتهاء، إلى سواحل جديدة!

هنالك، اهتزت الأرضُ الوردية، تلك التي حول جذع شجرةِ اللوز!

هذا النزوع الوحشي الافتراسي، لصدرها المُكيّس بـ«حمالة صدر من صنع الطبيعة»، تدفقت معه بسرعة يصعب قياسها لترات الأدرينالين المتدفقة في خلايا الآلاف، وربما الملايين.

كأنما يدٌ ثملة قطفتْ زهور ردائها الشفاف، فكان التجلي سيد المشهد.

كان صدرها يكنس الهواء المستهتر، والتعليقات الخارجة تنهال عليها.

كُرتا ملبن من الحجم العائلي تتحديان في كبرياء وفخر وزهو. تنزلقان وتتثاءبان في حنان، حتى فاض النبيذ المعتق من قنينته. بعضٌ من ضوئه، كاشفٌ كتنهيدة، خلقتْ في أعين المتابعين اللون الجديد للولع.

كانت تلك طعنة الكنز، الشوق الذي يحرق العشب، الظل الذي يطارد الجدار، وربما الدمعة التي تحرق خبز الوجه.

لقطة فاضحة، تمنح التاريخ عطلة.

لقطة واحدة تجري معها أحصنة الغيوم الراكضة.

الفيديو، الوغد الّذي يُخلِف وعوده دائماً.

الكاميرا قد تخون ذات يومٍ وتتواطأ مع النعومة.

انتحرتْ غادة على الهواء مباشرة، أمام جمهور متعطش للجثث الطازجة.

هناك الآن شخصٌ ما لا يخلو وجهه من ملامح توشك على البكاء.

تحية كاريوكا

تدور

كالدرويش

عكس عقارب الساعة،

بلطافةٍ خاملة،

ويدور معها

جسدٌ يلْهَجُ بِسُؤَالٍ أَخِير،

تُنشئ اللحنَ إنشاءً

حتى يدوزنَ روحك،

وتبتكر فنونَ التثني

وأسرار التمني..

ثم تمحوها

حتى تستأثر بالسر الجميل،

المرأة الشهقة

لا تتسلح إلا بجسدها؛

إذ تُطَوِّحُ الهواء،

فتطير بدلة الرقص

كأنها لم تكن!

الخلخال يرتعش؛
إذ يرميك في غَيَابَةِ الجُبِّ،
وبطة الساق لا تسكن
وفصوص فقرات الظهر
هندسةٌ
يتعامد فيها البياضُ
مع حباتِ عرقٍ
تضوعُ بالخصوبة،
صدرُها
شرفةٌ وحيدة
تفتنُ أحلامَ المأخوذينَ بأحلامِها
إذ تهمس لكلٍ منهم:
أسلم قلبك إلى قاتِله!
أما منديلُها الخفيف
وشالُها الماكر
وثوبُها البراق
فحيلةٌ
تحفظُ البطن والخاصرة
ولا تحجبُ زعفران الشمس
في منطقةٍ غير آمنة،

البنفسجُ المتعَب

فوق جفنيها

آخر السهرة

يبدد الرتابة

بنظرةٍ

ترشقُ الرواد

بوردِ القصائد،

والجمانُ بوجنتيها

يرش على لذتهِم

بهارًا لاذعًا،

المرأة الكاملة

تملك شفتَي طفلة

فكتْ ضفائرها

وتتوق للّعب،

عنقُها

تاريخٌ من المحبة

وصدرُها الرجراج

يهدهدُ الزمن؛

لينام!

جمالُها الطاغي

تمردٌ

يرمي الفضاء

خارج المجرة

ويحرر الاشتهاء

من خيالاتِ الوسائد،

جسدُها الحارُ مثل حبكة الحياة

حائرٌ

بين أن يتعرى ولا يتعرى..

كأنه وهجُ احتقانٍ بريح الشبق:

يا لطيب السُرة الحلوة،

وتكويرة النهدين الفاخرين

كقوسي سماءٍ على أفقٍ مُبهم،

طاقة النورِ بين ساقيها

تغازلُ الظلال

وتهبُ المكانَ شجناً مُناسِباً،

انحناءة وركيها اللدنين

قاموسٌ فريد

وعلى الفخذين البِكرين

تنام اللغة،

فيَا لَروعةِ الاسْتِعَارة العارمة!

فُسْتانُها العاري سُكْرٌ إضافي
تتمايل معه المقاعد والموائد
والكؤوس
مثل قصيدةٍ مفتونة
باستداراتِ المعاني
وجموحِ الفَرَس المُجَنَّح،
قاعدة الغيتار
تُزين خصرها الرخو
بسلاسةٍ واتساق
كأي آلة عزفٍ ماهرة،
ها هي تنحني في الختام..
رحيباً ينحدرُ النهر،
ويجد الحلم مَرْفَأه
في رقصة «تحية»
وابتسامةٍ
بتلتين مبللتين بالندى
تُكملان أسباب سعادتك

فتنة الظهر العاري

ظهرُها العاري كان تفاحة فرانك سيناترا وغيره من نجوم هوليوود.

حسناء، كلما مشتْ نطقتْ الاستعاراتُ في القصيدة، وصفَّرتْ لها القطاراتُ البعيدة والحافِلَاتُ اللَّيلية، وانتبهتْ النوافذ، وطاردتها الظلالُ فوقَ البيوت.

مظهرها المغوي هو الذي ألهم صانعي أيقونة الإثارة الكرتونية Jessica Rabbit وبينما يسود اعتقاد بأن الممثلة Veronica Lake هي ملهمة شخصية جيسيكا رابيت، فإن ممثلة أخرى أقل شهرة وأقرب إلى النسيان الآن، تقف وراء هذه الشخصية الكرتونية بفضل ثيابها التي تحتفي بالظهر المكشوف.

إنها Vicki Dougan سليلة الشهوة المختلسة، التي وضعتْ الظهر العاري على خارطة الجمال الأنيق، وأبرمتْ صفقة مذهلة بين الشيطان والردف.

فيكي، التي بدأت عارضة أزياء في سن السادسة عشرة، قبل أن تجرب حظها في عالم التمثيل، كانت معروفة في هوليوود الخمسينيات بلقب The Back نسبة إلى ملابسها التي كانت تترك الظهر حُرًا وحارًا مثل جملة من النوع السهل الممتنع.

اقتنصت فيكي، المولودة باسم Edith Tooker في بروكلين، أول أدوارها على الشاشة في فيلم Back from Eternity، الذي أصبح أحد أدوارها العشرة الصغيرة في السينما.

في عصر الصدور الناهدة التي أرضعت الرجال حُبَّ الحياة، ورمزها الأشهر جين مانسفيلد، تحدَّتْ فيكي السائد والمألوف، وأدارت للعالم ظهرها، ليصاب الناس بالدوار.

قبلها، لم يكن واردًا أن يتحدى ظهر عارٍ أو مؤخرة ملفوفة مثل هدية، صدرًا نافرًا كأنه الفردوس.

وجدت فيكي دعماً من رجل الدعاية ميلتون وايس في 1953، الذي تأملها كمنحوتةٍ لم ينحتها بنفسه ولكنه يود تعديلها. وضع وايس خطة بسيطة لكنها فعالة: شراء ثلاثة فساتين غالية الثمن وعارية الظهر مصممة لها خصيصاً، قبل أن يروّج لهذه الفاتنة مستخدماً لقبها الجديد. أطلقها في الحفلات والمناسبات العامة بصورتها الجديدة، فكان ظهرها يقول للحضور: هذا ظهري بينكم، يلمس خيالكم بالنعومة والمجد. هنا تهطل الأمطار وتجري الأنهار، لكنه مثل الخطيئة الأولى: فاحش بما يكفي لإيقاد شعلة الحياة.

تعلق المصورون بسلسلة فقرات الظهر، وحقول الأقواس غير العادية، ومؤخرتها النيزكية، الشابة والمستديرة، الصلبة والمتموجة، المنذورة لجحيم الظلمات الأزلية، كما في لوحة غوستاف كوربيه «المغتسلات»، قبل أن يتهامس نجوم الحفلات بأن «فيكي دوغان تمتلك أفضل «دَخلة» في المدينة». رجالٌ هالتهم وفرة اللحم، وكل هذه النعومة المتلطّفة.

مكتنزة، بفخذين طريين وأرداف ممتلئة، كأنها حديقة سرية للأحلام الشبقية، يُثبِّتُ عليها الرجال عيونهم الواسعة كفئران تدور في جحرها.

فيضٌ من الشهية وأثر نُبلٍ قديم، غامر بالظهور عارياً.

على ظهرها الوقح الحُرّ، يمكن أن تقتفي أثر أقدام الحُبِّ، وعواء ذئاب هوليوود الأنيقة. دمهم الحار اشتهاها، ولسانهم البذيء شتمها.. وما بين المسافتين، كانت أنفاسهم تلهث بسبب امرأة عذَّبتهم بلا هوادة، وهي تهبُ نفسها وتمتلئ كأسفنجةٍ من نعيم.

ظهرها المذهل في عُريه، يدفع الزمن دفعة خفيفة كي يسقط في نهر الغواية.

لم يكن تمردها بلا ثمن.

تم منع فيكي من حفل سينمائي؛ لأن ثوبها المكشوف الظهر لفت الأنظار إلى حد التشويش. كانت الصحف هناك لتحكي عن الواقعة. صحيفة Oakland Tribune قالت عنها في مقال نشرته في عام 1957 إن فيكي «تصعد سلم الشهرة معتمدة على قوة ثيابها، أو ما هو موجود منها». لقد أصبحت بالفعل صيحة أزياء.

انغمس المصور رالف كرين في التقاط صور لها لتكون فتاة الغلاف لعدد مجلة Life في 26 أكتوبر 1953.

ألهمت ثيابها ذات الظهر المكشوف كثيرين، حتى إن أغنية The Limelighters كانت احتفاء بهذا المظهر الجذاب.

في يونيو 1957، ظهرت فيكي في مجلة Playboy، قبل أن تعاود الكرة في ديسمبر 1962.

في يناير 1964، نشرت مجلة Cavalier 12 صورة عارية لفيكي دوغان في ملف مثير حمل عنوان The Back is Back

سرعان ما أقامت فيكي دعوى قضائية ضد المجلة؛ لأنها لم تستأذنها في النشر، قائلة إن الصور كانت مخصصة لمجلة Playboy لكنها امتنعت في النهاية عن منحها موافقتها على نشرها.

عاشت أميركا علاقة حُبٍّ - كراهية مع فيكي وفساتين الظهر العاري التي كانت ترتديها. دأب كُتّاب أعمدة الفن والنميمة على السخرية من مظهرها.

بحلول العام 1959، كانت فيكي وفساتينها المثيرة قد اختفت إلى حدٍ كبير من المشهد الهوليوودي، لدرجة أنها باتت غائبة عن رادار السينما وعروض الأزياء على حدٍ سواء. عاد ظهرها إلى الظلال والفراش، كما لو كانا منذ البداية وجهتها الحقيقية.

منسيّة أخرى، تنضم إلى القائمة.

فقط تذكروها عندما قررت Disney/Touchstone صُنع فيلم في 1998 حمل عنوان?Who Framed Roger Rabbit

عندها، بحث الشغوفون بالجمال عن المصدر الحقيقي للشخصية الكرتونية المثيرة ذات الرداء الأحمر مكشوف الظهر، فخرجت لهم الأيقونة المنسيّة من الذاكرة التي تلتهم رموز الجاذبية والإثارة مثل وحش لا يشبع.

تماماً مثل فيكي، التي صنع رجل دعاية هوليوودي صورتها اللافتة، فإن أشهر مقولة لشخصية جيسيكا رابيت في الفيلم كانت موحية ومؤثرة، حين قالت: «لستُ سيئة؛ أنا فقط مرسومة بهذه الطريقة».

مارلين مونرو

مارلين

جمالهُا بلاغة

يصمتُ بعدها الكلام،

حورية البحر

التي تراود الماء عن نفسه

ويسكن إليها الموج،

تخدع البحر حين يحيط بها..

فتحيط به،

وتغمره بلطف الأنوثة

حتى ترتعش الأعماق!

يا لتلك الصاعقة الأنثوية

التي تتوددُ إليها الذنوب.

قبل أن تتوب!

اضطربتْ لها قلوبنا

في مشهد عبث الهواء

بفستانها الأبيض في

The Seven Year Itch

وصارت جمر النشيد في

Gentlemen Prefer Blondes

بحة صوتها

تُعلِّم الرجالَ

الفَرق

بين سرير الزوجية وطاولة البلياردو!

ضحكتُها

ولعُ النسيم

ولونُ النعيم

وعناقيدُ بهجة

أحلى مما يتغنى

به الماء في خريره،

هي الرنة

التي تمس الغواية

وتبوح لها بسر الدلال،

في سماء وجهها

فضةٌ سالت

كأنها أشراط اللذة

التي تملؤ العين بالسعادة،

جسدُها

قنديلُ زئبق
في شفافية القمر؛
يتوق للدفء
وقبلة تخدش الجليد،
فتنةٌ تعرض نفسها
في المرايا الخفيفة،
أرجوانُ حلمتيها المضاعف،
أيقونة
تقطر منها اللالئ،
كلما لامستها أشعة الدفء
أو دفء الأنفاس،
بخارٌ خفيفٌ في صدرك
يتصاعدُ كلما رأيتَ فمها،
ذاك المستبد الصغير
الذي يهدي خيالك بَوْسةً
تُلخص معنى الاشتهاء
وترسمُ على نعاسك
طوقًا من نزق!
على سرير
الغرام والسياسة والمهدئات

نامت أخيرًا،

ها هي الحلوة الحانية

تنسكب فوق عشب الوقت

مثل شلالٍ من حرير

وحين تمد ذراعيك لاحتضانها

تطير بخفة الدخان،

تاركة أقواسنا فارغة

إلا من الندم!

نيكول كيدمان

تبدو نيكول كيدمان

كأنها جثة

استيقظتْ في الوقت المناسب،

جبهتُها اللامعة

مثل فصيلٍ منقرض

للجنس الآري،

بها أثر اسكتلندا

وروح أيرلندا

وروائح هاواي الغامضة،

معها تؤمن أن الله

يختم الجميلات بالنمش

والزعفران،

تحديقتُها الغريبة

تغرس دبوساً

في عين الحياة،

وقوامها النحيل

آخر مذنَّبٍ يزور الأرض،

غريقة

تطفو على سطح الماء

مثل قطيفةٍ رقيقة،

جمالها تأكله الأمواج،

لكن رأسها ثقيلٌ كالرصاص

حين تقترب منك

وفي يديها

أصفادٌ تائهة

لا تدري هل تريد أن تغفو

على صدرك

وتهديك حلماً ناعماً

أم أنها تخطط للوثوب

على فريستها التالية!

المرأة الحرون

ذات النقاء المروِّع،

الذي يخترق بريقها الوضَّاء

أجواءنا الضبابية بقسوة،

سهمها الأبوللوني

هو تلك النظرة المطعَّمة بالسخرية،

همسُها

يشبه تنهيدة فتاةٍ

في مخدع مدرسةٍ داخلية ليلًا

صوت خفيض

ترتعش عظامك الواهنة

من البهجة

كلما تذكرته،

ابتسامتُها الماكرة

تُعذّبك

حتى تنسى أن تسألها

عن صدرها الضامر

عن أنفها المستعار؛ لتقترب

من ملامح فرجينيا وولف في

The Hours

عن شعرها الأحمر المعربد

وأفلامها المستقلة

عن ضلعها المكسور

خلال تصوير

Moulin Rouge

وضغط الجسد المباغت

في جسدها

بأمر ستانلي كوبريك في

Eyes Wide Shut

وذكرياتها المضلِّلة

عن سوزان ستون في

To Die For

عن «فوبيا الفراشات»

وحساسيتها من الفراولة

عن خطها المنمق كعسراء

أو عن الكعب العالي

الذي استعادته

بعد الطلاق من توم كروز؛

المآذن تحت قميصها

تعفيك من كل الطقوس،

وحين تفكر في عناقٍ

يذيب شمع ضغائنها الخفية،

سيحول بينكما

سياجٌ غير مرئي

اسمه:

قانون الجاذبية!

ماريون كوتيار

ثمة سطوةٌ ما لصلصالها
الذي يغسل جسد الليل..
ماريون كوتيار
القسيمة، الهيفاء، العبقرة
فستقةٌ
تلوّن الليل بالفراشات،
وتعبئ سلال القلب
بالنعناع البريّ
والأمنيات،
نبيذ ثغرها الفرنسي
المبتل بتوت العليّق
يشبه خريفاً رائقاً
جديلتها المرتبكة
شراعٌ أبحر.. ثم استدار
عائدًا إلى جُدّة الأمان،
في قوس عينيها
تبرق سذاجةٌ

لا تخلو من غنج،

تبدو كما لو أنها

لا تعرف

كيف ترد القُبلة،

لكن من غيرها

يتقن أدوار نساءٍ

حياتُهن حائطٌ تغزوه الشروخ

وأثوابهن مطرزةٌ بالخوف!

قوامُها

محارٌ خام

خرج من قاع بحرٍ عميق

غاطسٍ في اللازمن،

الفاتنة،

التي لم تثقب أذنيها قط

تقول بنظراتها كل شيء

كأن الوجه في العينين:

وحده الفن

يجلو قلبها المترمّل

حتى تتفتح الزنابق:

الأوسكار والبافتا وسيزر

والغولدن غلوب

في امرأةٍ واحدة

..والسعفة الذهبية

تكمل دورة القلب،

عارضة حقائب اليد

طوت صفحة

«ليدي ديور»

لتصير مُشعلة حرائق..

قد تفعل ذلك مع حشدٍ هائل

بِقُبْلَةٍ واحدة!

انتظرها المجد داخل

Taxi

ورسّخته في

Rust and Bone

ها هي الناشطة البيئية

تُقلِّم الشجيرة

التي تعبثْ أغصانها

في

Love Me If You Dare

وتمسح بحنان

على قنينة سحرها الصوفي

في

La Vie en Rose

وتنتزع ربع ساعة

من التصفيق الحماسي

في «كان» بفضل

Two Days, One Night

كأن سحر السينما

يكتب بيده الدافئة

على لوحة جسدها القصائد

ثم يحتضنها،

حتى لا يُطيّرها الكلام!

روبن وليامز

أعرفُ أنك كُنتَ على عجلةٍ من أمرك.

فقط تود الانصراف بمأساوية صاخبة لا تقل عن روحك الساخرة.

تماماً مثل ألعاب الفيديو التي كُنتَ من هواتها، وجرعات الكوكايين التي أدمنتها في شبابك، يكون الخيال الجامح هو عنوان النهايات الغادرة.

ها أنت تفتش في جيبك عن نجمة قصيّة، لترسم على وجهها ابتسامة قبل أن تهديها لطفل يعشق فنك.

تُغيِّر ملامحك ونبرة صوتك، ثم تدندن بأغنية الغياب.

فاجأتنا في بداياتك السينمائية بوجوهك المتعددة المنذورة للضحك؛ خليط من بيتر سيلرز وريتشارد بريور، ولكن بأداءٍ لم يتأكسد.

كان وصفك بالكوميديّ يسبق أي وصف آخر، رغم أنك لم تكن ذا سحنة ساخرة وضاحكة مثل ستيف مارتن أو جيم كاري. كان هذا مشروعك على أي حال.

صنعتَ لنفسك جمهورًا وفيًّا يلاحق بطله من شريط روائي إلى آخر كرتونيّ؛ يؤدي فيه صوت مارد علاء الدين.

أضحكتَ ثلثَي أبناء كوكب الأرض بتلك الكوميديا الارتجالية، وحنجرة بحجم الأرض، لكنني أحببتُ أكثر أداءك الدرامي الغاطس في بئر القلب. ذلك الأداء الذي كنتُ تؤديه بصدقٍ، في حين تترقرق التجاعيد في عينيك.

عشتَ حياتك كلها ببراعة مقلدٍ عظيم قادر على إسعادنا بطاقة تبتلع الإحباط والإنهاك النفسي، ولم تمُتْ إلا وأنت تشبه نفسك الذائبة في مسحوق الحزن.

كل مساء، كنت تمسح على سبعين غرزة في القلب الذي يشبه جرحاً مفتوحًا، ثم تنزف أيامك حلماً فحلماً، حتى تنام.

كيف تكتئب أيقونة الفرح؟

كيف ينسحب روبن الذي نحبّ، الأب في الحياة وفي التمثيل؟

ما علاقة البهجة بالمصحات؟

موتك يكمل الصورة الكلاسيكية عن حزن المهرج ووحدته؛ عن ضحكته الغارقة في وحل ضياع الذات في المجموع.

ها هي ضحكة أخرى تمضي، ولا تلتفتُ إلى الوراء.

لن ينسى عشاقُك أدوارَك وأفلامَك المدهشة:

Good Morning, Vietnam (1987), Dead Poets Society (1989), Awakenings (1990), The Fisher King (1991), Good Will Hunting (1997) and Mrs. Doubtfire (1993).

روبن وليامز، هذه المرة هزمك الاكتئاب. هزمنا جميعاً.

تعال واختبئ أيها الجميل الهش في قوقعة الضحك، وابتسم.. حد البكاء.

آلان ريكمان

هو القرصان الهادئ

وربما كان في حياة أخرى

ربان سفينة

تقل الهاربين من الحياة،

رجل الشياطين الداخلية

وشاعر الرعب على الشاشة،

مصباحٌ تتلاعب بفتيله الريح،

هو الحارس الليلي للذنب،

الذي يشتهي المكائد والتآمر

ثم يتجلى في الصباح

خارجاً من مواجهة دامية

شطرته لأجزاء صغيرة،

كأنه سحابة

مشقوقة بصواعق الرعد،

وبدون ابتذال

جمع الهوية والفقد والأمل

والقدرة الدرامية للصمت

بنظرةٍ واحدة!

من كاريزما الشر

صار زعيم ديانةٍ سرية

اسمها الخوف

كأنه بستانٌ من الأعشاب الضارة،

وما بين التشنج والتقلص..

يقطع يد خصومه بلا سكين!

سيد الإجرام والعبث

يرحل

بلا صراخٍ

وهو يُلمِّعُ جسده التائه

غير مكترثٍ لوصمة الجلاد،

هابطاً إلى قبره

بنظرة الشر تلك

التي تضمد أيامه النازفة!

غرام فرنسي

حُراس الفضيلة
والسُنن الاجتماعية المبتذلة،
الغارقون في متاهات
أسطورة «الإلهة المسيطرة
والفتى الجميل المختطَف»،
لا يمكن إنقاذُهم
من توليفة الشهوانية
التي تتستر وراء الأخلاق،
هؤلاء ليسوا ضحايا سوء الفهم
في حالة إيمانويل ماكرون/بريجيت ترونيو،
لكنهم مجردُ ذوقٍ سيء
يتصف بالإهمال،
ودليل آخر
على انحراف الذكاء،
يرتدون أقنعة الجنس
حتى وهم يمصمصون شفاهم
يعانون من رهاب الغرام،

ويحاربون راعي الغيوم

الذي ينفخ في الناي،

وينكرون ذاك الإيقاعَ القدري الداهم

للحُبّ،

الذي يمسح السحاب الرماديّ

عن معابدِ حزْنِك

ويجهلون أنه يفخر بالولع،

وتمرد الماء على المجرى

والجموح حد الرعونة؛

لأنها ببساطة

أصل الرومانسية،

لا أرض للرجال

في تلك المعركة

صانع الأرابيسك

«ما تسرسبيش يا سنيننا من بين إيدينا/ ولا تنتهيش ده احنا يا دوب ابتدينا/ واللي له أول بكرة حيبان له آخر/ وبكرة تُفرج مهما ضاقت علينا»

عندما تختار ليلةً من الجنون كي تموت، سأنصحك: خبِّئ غيابك ليومٍ آخر.

وهو اختار التاريخ بعنايةٍ فائقة: 25 يناير.

مات صيادُ الشجن ووجه السماء ملبدٌ وكذا واجهات المحال وعناوين الصحف. طقسٌ لا يرسم سوى الغيوم الهاربة، وأخبارٌ لا تقود سوى إلى الوجوم.

سيد حجاب، قطعةٌ بديعة ومؤلمة من أرض مصر وتاريخها المعاصر، تسبح الآن في فضاء وفراديس مأهولةٍ بالأمل، مثل وديعةٍ تُردُ إلى أصلها.

لم يكن ممن يركضون في أماكنهم ويدورون في حلقات مفرغة، ثم يتساءلون: لم لا نصل؟!

خفيضُ الصوت، كما لو أنه يهمس للقصيدة، لم ينفض يديه من الوطن، ولم تُربِّت عليه يوماً يدُ الوهم الكبير.

تعلّم سحر النَّاي في مدينتِه، وبصبر وأناة، علَّمَ الحروف كيفَ تقُودُ المعَاني.

صاحَبَ الرِّيحَ، حتى كسرتْ مصباحه ذات ليلٍ مُعتم.

رفض أن يسلبه الزمن نعمة الدهشة ومنحة الخيال. من يستسلم للعمر يفقد دهشته، وبالتالي يخسر أهم أدوات الإبداع.

صانعُ أرابيسك العامية، ولسانُ الصيادين والمهمشين، الذي لا يمكنك تعريفه إلا باسمه، ولا تستطيع وصفه إلا بذاته..

وحين تشرق الذات، تضيء الصفات.

رفض الظل الرخو، وامتنع عن خبز الفناء وماء الذل العطن.

افترش أرض القصيدة، فلما حاد عن الطريق.. وجد البريق.

سلك كل الدروب، يحمل في راحتيه حبة قمح، وفي روحه بيادر.

سار فوق أرض القصيدة المليئة بشظايا الزجاج.

مضى، مُخَلِّفًا وراءَهُ أَقْنِعَةً إنِسانيَّةً لشعراء «كبار» نالوا الحظوة، وآخرين بوهيميين سرقوا الأوسمة وخبأوا تبغهم المغشوش ودخان حشيشهم في جيب الوطن.

سرى في دمنا مع أشعاره المغناة.

في «ليالي الحلمية»، دس تحت وسادة تتر البداية كلمات تحمل توقيعه، وفي «أرابيسك»، تلاعب بالكلمات حتى أسكرنا المذاق، وفي «بوابة الحلواني» نهض بوطنٍ كامل على ظهره مثل سيزيف.

عانق الصوتُ الصدى في «الأيام»، «الوسية»، «الشهد والدموع»، «المال والبنون»، «حدائق الشيطان»، «ناصر»، «غوايش»، «أحلام لا تنام»، «الأصدقاء»، و«الأراجوز».

اختزن في قلبه لغة الكفور والنجوع من مشارف بحري حتى أقاصي الصعيد، فجاء شعره مصرياً صميماً صادقًا في كل لهجةٍ أبدع بها دون افتعال أو ادعاء.

وسيد حجاب هو النسمة في الهجير؛ إذ يدعو النسمة بأن تكون «مروحة للشقيانين العرقانين». إنه غصنٌ في شجرة الإبداع بالكلمات

والشعر العامي، والتي تضم فؤاد قاعود وهو يطربنا بصوت سيد مكاوي معلناً : «أنا ساقي التقاوي غناوي»، وأحمد فؤاد نجم وهو يتغزل قائلًا: «بعد ما بان ورد خدّك والله والربيع طول الزمان»، وعبدالرحيم منصور وهو يكتب بيتاً فريدًا في أغنية «حدوتة مصرية» فيقول: «يهمني الإنسان ولو مالوش عنوان»، ومجدي نجيب وهو يحفر وراء العبارة الفلكورية «قولوا لعين الشمس ما تحماشي»، ليصنع أغنية لا تُنسى على موسيقى سابقة لبليغ حمدي.

كتب سيد حجاب ديباجة دستورٍ، تنكّر لها اللئام.

في أيامه الأخيرة، كان حكيم المدينة يسير بمشقة، وهو يعض على طرف لسانه، كتلميذ يواجه صعوبة في حل امتحان حاسم.

تهاوى الجسد المُتَرَهِّلُ المُتَواري خَلفَ الملابس الفضفاضة، لكن ظِلّه بقي دوماً أكبر من جسده.

الماضي حصالة السنين، والزفرات التي تحصينا أكثر مما نطيق.

كلماته الأخيرة؟

ربما كانت لشاعر صغير السن، اقترب منه، حتى همس له وهو يُحتضر: لا تصعد هذا السلم المتعرج. في أعلاه جدارٌ لا يفضي إلا إلى العدم، أما الباب المرسوم فهو على سبيل الخديعة.

بموتِه تكتمل أسطورته، ذلك الذي يعيش مرفوع الهامة، وفياً لأفكاره الخلاقة ورؤاه المبدعة.

في الليل المليء بالخناجر والأعداء، لا يبقى سوى المنديل الفقير في أيدٍ مرتعشة لمودعين.

الظلال حُرّة، حتى أنها حين ترحل لا يرثيها أحد.

تثقيف الموتى

عزيزي سعد هجرس،

هل نمت جيدًا البارحة؟

أنا شخصياً لم أنم. أقاوم فكرة رثائك، فإذا بك تقفز إلى ذاكرتي الجريحة بين الفينة والأخرى.

ها أنت الآن في دار الحق، في زمن تفشتْ فيه الضلالات. ها هو وجه السماء يقترب من ثغر الموت، وأنت تلوّح لنا مبتعدًا.

كلمات الرفاق تنعى الرجل النبيل والصحفي الخلوق والصديق المخلص، والذين لم يعرفوك لا يصدقون وجود إنسان يجمع بين كل هذه الصفات.

أصبحت أسطورة، قبل أن تجف دموع أحبائك على فراقك الموجع كشوكِ النخيل.

لا بدَّ أنك تقضم هواءك المنتشر في عروقك، وأنت تُحدِّث الملائكة بأسلوبك الفلسفي الراقي عن حال صحافتنا، وانهيار ثقافتنا، قبل أن تُضحِكهم بحكايات مجهولة عن مجدي عبدالملاك، صاحب مقهى ريش، ومقالب كمال القلش، ولؤم محسن محمد، وممارسات جماعة الإخوان التي «استنفدت مرات الرسوب الشعبي»، وأيام «السجن للجميع» التي دفعت ثمنها راضياً مرضياً.

ستعتذر لأحدهم عن سيجارة يعرضها عليك، وتشكو له من آلام في صدرك تجعلك مثل صدَفةٍ تائهة.

ستتذكر هواء المنصورة النقي في صباك، وتكلمهم بتؤدةٍ عن تجاهل نقابة الصحفيين والمجلس الأعلى للصحافة لك في مرضك الأخير، وتسألهم عما إذا كان مسموحاً إجراء مكالمة هاتفية لتطمئن مديحة زكي على أنك بخير.

ليس هناك من هو أفضل منك لتثقيف الموتى بشأن برق الانتصارات ورعد خيبات الأمل في ثورتين قفزعليهما من قفز.

سينصتون لك بكل انتباه، وهم يتأملون عروقاً منتفخة تحت عينيك الرماديتين، ويقولون لأنفسهم: ما أجمل روحه الطيبة!

سعد هجرس.. إلى لقاء يا صديقي الكبير.

مقامات ناجي

جبل الكبرياء مضيء هذه الليلة.

طرق بابَ السماء، فاحتضنته الغيومُ في حنانٍ بليغ.

ها هو محمد ناجي يذهب إلى أصدقائه، ونذهب نحن -في احتضارنا البطيء- إلى فِراشنا المطلي بحزن مكتمل.

الصديقُ الدمِث الخُلُقِ، عف اللسان، بابتسامته الوادعة وصوته الخفيض، الذي أهدانا «خافية قمر» بجمالها الآسر، و«لحن الصباح» بألمها الدفين، و«مقامات عربية» برائحة التاريخ.. اكتفى جسده المنهك بحصته الكبيرة من الألم.

الجمال الداخلي ياقوتة تضيء أرواحنا وتخدش عتمة الحياة. هكذا تشع وجوهٌ بقناديل النبل والسحر والطمأنينة.

انزوى بعيدًا عن الصخب، شأنه شأن كل مبدع وقور، أهدى الناس فكره، لا صوره.

صَدَمته الحياة مرة بعد أخرى، وبعض الصدمات كانت قاسية بأكثر ربما من المرض العضال الذي أكل عافيته وجسده النحيل.

في هشاشتنا نهوي مع أننا نمشي، ونموت مع أننا نعيش.

رحل في صمتٍ يليق بنبله الفريد، ذاك الذي رفض في أحد أيام اغترابه إخلاء سبيله إثر مشكلة مفتعلة، قبل أن يتم الإفراج عن باقي رفاقه، فكان له ما أراد.

بقي غباره الفضي ريشة في وتر الشمس، كلما أرادتْ أن تغني.

ها هو الحلمُ يستريحُ قليلًا، والكتبُ تصهلُ حسرةً على رَقْدَتك الطَّويلَة.

محمد ناجي سلاماً سلاماً.

لكنك صديقي!

إلى عبدالله كمال

الآن وقد رحلت، لا بدَّ أن يعرف الناس بعض ما جهلوه عنك يا عبدالله.

إنهم يجهلون مثلًا أن أعتى خصومك أصدقائي، لكنك أيضاً صديقي.

كنا نتعمد تجنب الكثير من أحاديث السياسة، ونكتفي بالحديث حول الثقافة والمجتمع.. وناديك الكروي المفضل.

هل تذكر ذلك الحديث عن الأهلي والزمالك على المقهى في ذلك اليوم البعيد من نهاية الثمانينيات، حين قلت لي: بدأ عصر الأهلي، فكان ردي بمكر: بل قُل، بدأ «عصر» الزمالك!

يومها ضحكتَ من قلبك، وأخذت تكرر العبارة، كأنك تتذوقها.

إنهم لا يعلمون مدى حُبّك للقراءة ونهمك للمعرفة.

لا يعرفون أنك كنت قد عقدت اتفاقاً مع بائع الجرائد على الرصيف المجاور لمجلة «روزاليوسف» كي تستعير منه الصحف والمجلات، لتقرأها، بمقابل مادي شهري.

كنتَ تسألني كلما زرتُ «روزاليوسف» عن المجلات والكتب غالية الثمن التي كانت تصدر في مطلع التسعينيات، وتستعيرها مني كي تقرأها وتعيدها لي على صورتها الأولى. لم يكن أحدٌ غيرك من رفاق المجلة يفعل ذلك.

احترمتُ فيك هذا الاهتمام بكل ما هو جديد، ودأبك الشديد وعشقك للعمل الصحفي. واحترمت أكثر وفاءك لرؤيتك ووجهة نظرك؛ إذ لم تُغير جلدك كما فعل كثير من منافقي هذا الزمان الذين يميلون حيث تميل الأهواء وأشرعة السلطة.

كم صحفياً ناقشني في بعض تفاصيل كتابي «قصة الثروة في مصر»، ووجد الجرأة في أن يدافع بتهذيب عن عصرٍ مضى؟

الإجابة يسيرة: أنت وحدك.

في لقائنا الأخير، وجدتُك كما أنت، صلباً وعازماً على استعادة موقع صحفي لائق بك. حدثتني عن فترة ما بعد ثورة 25 يناير، وكيف أمضيت فترة عصيبة مثل حبّة قمحِ مَنسيّة في حقل الوجود.

وما بين انكسارِ السّيفِ، وانتصارِ الجرح، وجدتك تحدثني في طموح عن مشروع الموقع الإلكتروني الجديد الذي تؤسسه.

قبل بضعة أيام، حدَّثني صحفيٌ شاب في إعجاب عن موقعك الإلكتروني «دوت مصر» وذكاء المعالجة الصحفية لموضوعاته، قائلًا: لا بدَّ أن عبدالله كمال هو الذي يكتب هذه الموضوعات بنفسه!

لماذا لا ندع الخلافات والاختلافات المقيتة جانباً، فأنت الآن في ذمة الله.

لا شماتة في الموت، ومن يفعل ذلك فإنه آثمٌ قلبه.

لن أخرج عن طاعة الموت، ولن أضل عن الوفاء لأيامٍ خلت، وسأقول لك بحزنٍ يعض على القلب: رحمك الله يا عبدالله كمال.

البراء.. والبراءة

إلى البراء أشرف

في أقصر سبتمبر عاشه،

طوى الصفحة

وأطفأ الضوء الأخير

أنهى وقت اللعب مبكرًا

قبل «مليكة» و«كرمة»!

باغتنا مثل قدر

وانطلق بيدين يتيمتين

إلا من الغياب؛

في هذا الكوكب القاسي

البخيل جدًا بالإجابات

كانت أمنيته بسيطة ومستحيلة:

«لو أنني أتحكم قليلًا في الزمن»

ها هو يفتح مصاريع قلبه

ليموت!

البراء أشرف

ذلك الحالم بسن الثلاثين

الذي كان يغطي النجوم
التي ترتجف من البرد
ويُسمِعُ الهواءَ
بعض ألحانه الذائبة
البراء
آخر شجرة زيتون على شرفة الوجود
ذلك الوديع الضخم
الذي يصفف شعره إلى الوراء
ويحك شعيرات ذقنه النابتة
قبل أن يمنحك
تلك النظرة
التي تقود إلى عرش الأفكار
أتذكر غرامه
بنص «لدغة حُبّ»:
«حكاية نعومتها تخترقني»
بوجهه المحايد
كان قادرًا على إعطائك
ذلك الانطباع
بأن العالم ضرسٌ مقلوع
رغم أن روحه تتضور جوعًا

الآن فقط،

هُزِمَ عنادُ رأسهِ

وداعًا يا صديقي..

في أمسيات ستجيء،

عندما يكون لا أنت ولا أنا هنا،

ستخدع الحياة غيرنا

ويبرد شاي الأسئلة

وتذبل السخرية

أبناء البكاء

إلى روح زينب مهدي

الرِّيحُ تجلد البيوتَ المسكونة بالحسرة

أبناء البكاء صامتون،

يخيطون أفواههم ويشيحون بوجوههم عن فريضة الكلام

يكفنون أحزانهم بالخضوع

شاخوا صغارًا، في حين يتصاغر شيوخ المرحلة

أرتدي معطف الرِّيح، أنا العَصيّة على التيه، المثخنة بالواقع، لكنني أتعثر على سلم الذكريات، فلا ألمس السماء التي أريد

أسقط فلا يسمع ندائي البحر

أصرخ، لكن ثمة أشياء محشورة في قصبتي الهوائية

أيتها العتمة، يا للمسافات بيني وبين الضوء!

أتأقلم مع فكرة المتاهة والألم

أتأبط الفقد كجواز سفر، وأعتني بالغياب

لكن الذين يقتلونني ببطء، بارودهم لا يبرد في جسدي

أتحسس وجهي، تغيَّر كثيرًا منذ أن كان حاضرًا في ميدان الأمل

كانت لي ضفيرةٌ من دخان، سرقها عويلُ الذئب في ليل المدينة، وباركه أولئك الذين يحاكمون طواحين الهواء، في بلادٍ تلد أخطاءها بكل وجع المخاض، ثم تواريها في مقابر مجهولة الاسم

سيتذكرونني جيدًا، ويقولون: رحلت زينب مهدي، ابنة الشمس والشوارعِ التي ضاقت بأهلها

ويضيفون في حسرةٍ ليست كلها صادقة: لملمتْ أيامها وذهبتْ

حيلتي الأخيرة أنني لم أرحل..

فقط انضممتُ إلى هامش وطن مُكْتَظٍّ بالجثث!

السارق المقدس

الموت، ذلك السارق المقدس، الخاطف المجنَّح بالرهبة والوجل،

خرج هذه المرة من غرفة العناية المركزة ومعه روح أحمد محمود الطاهرة،

الصديق المترجم الفذ، الهادئ الحيي، الذي خسرنا بغيابه الكثير الكثير،

هذا الفراغ الهائل في عالم الترجمة الدقيقة والبديعة مكتوب عليه اسمك يا أحمد،

على رفوف المكتبة تتراص بعض ترجماتك:

«الناس في صعيد مصر.. العادات والتقاليد» لوينفريد بلاكمان،

«طريق الحرير» لإيرين فرانك،

«التحالف الأسود: وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة» لجيفري سانت كلير وألكسندر كوكبرن،

كلها شاهدٌ على براعتك ودأبك وتصرفك الحاذق في اختيار المرادف الدقيق لكل كلمة أجنبية لها العديد من المعاني بالعربية.

سنفتقد ابتسامتك الوادعة، وخطك المنمق، وسلامك النفسي.

استئذانك المفاجئ لن يُعفيك من لوم أحبتك،

قل لي: كيف سأحذفك من قائمة الأصدقاء وألغي ٢٧ عاماً من المحبة والوداد؟!

أحمد محمود، أيها المفارق على عجل، طبتَ حيًّا وميتاً.

الكتبجي

كان «عم رفاعي» هو الفيصل بيننا.

رفاعي، بائع الكتب الوحيد المسموح له بالتجول في طوابق مؤسسة «الأهرام» والمرور على الصحفيين لعرض أحدث الكتب والإصدارات، وبيعها لهم إما نقدًا أو «على الحساب».

باغته ذات يوم بسؤال فضولي: من هو الأكثر شراء للكتب والدوريات منك في «الأهرام»؟

أجابني بصوته الطيب: خالد السرجاني يتفوق عليك قليلًا، لكنك تدفع نقدًا.

ضحكنا لإجابته وسرعة بديهته.

كنتُ أعلمُ أنه إن كان هناك منافسٌ لي في متابعة أحدث الكتب والإصدارات فهو خالد السرجاني. هذا الرجل الذي ينفق بسخاء على شراء أحدث الكتب والموسوعات الباهظة الثمن، ويوجه أصدقاءه الصحفيين والباحثين إلى أهم ما ورد فيها. ولعٌ بلغ مداه بجمع وإكمال السلاسل وحيازة الكتب والمجلات، خاصة النادر والثمين منها.

لم تكن تراه إلا وهو يحمل أكداساً من الأوراق والملفات والكتب الصادرة حديثاً، حتى إنك تتساءل: ما هو المكان الذي يستوعب كل هذه الكتب؟

تبدو حمولة السرجاني ضخمة، ثقيلة وبالغة السخاء في آن معاً. كلما تعرفتُ إلى بائع كتب قديمة أو صاحب مكتبة حديثة، وجدته يسألني: هل تعرف أستاذ خالد السرجاني؟

مصادفة أم قدر؟!

وحده خالد كان قادرًا على فهم إشاراتك عن ترجمة كتاب حنة أرندت «في الثورة»، أو مؤلفات يورغن هابرماس، وتحديد أوجه الاختلاف الدقيقة بين ترجمات سامي الجندي وصالح علماني وسليمان العطار لرواية غابرييل غارسيا ماركيز «مائة عام من العزلة»، فضلًا عن ثقافته الموسيقية والسينمائية الممتازة.

لم يكن يمتلك سوى ثقافته ومعرفته الموسوعية، وكان هذا كافياً جدًا لكي ينال احترام الجميع.

تعامل مع الدنيا بخفة طالب الشغف، الباحث عن الإبداع البشري والناقد لماكينات الفساد في عالم الفكر والصحافة. صاحب صنائع، مجيد، وذو قلبٍ محبٍّ قادرٍ على أن يرعى النجوم.

لديه نظرة رجلٍ مُتْعَبٍ مَمْلُوءٍ بالحسرات، قد تَتَطَايرُ من جيوبه في أي لحظةٍ أوراقٌ صغِيرةٌ تَحْمِلُ أرقامَ هواتِفَ، وعناوينَ كُتُب، وأسماءَ تَنْشُدُ المرور.

حارس بلا ملامح، أقرب للظل أو الشبح، يسير على أرضية «الأهرام» اللامعة، مرتدياً قمصاناً رياضية ذات لون واحد، عادة ما تكون من الدرجات الداكنة. صمته يغلف المكان، فهو من أبناء القول النجيب بدون ثرثرة.

لم يكن ذو النبرة الرفيعة الحادة من النوع الذي يخنع حتى يُرضي ذوق «الجمهور»؛ يقول لسان حاله: لا مساومة على موقف.. ولتذهب مسايرة الرَكب إلى الجحيم!

قلمٌ عارفٌ، مستقيم، وواضح لا يقيده خوف ولا تزيغه مطامع.

عاش وحيدًا. لا رائحة لامرأة البيت. لا نَفَس يطرد الصقيع، ولا طبعة حانية فوق الوسائد. كلما عاد شقته، وجد وحدته قابعةً في مكانها.

في آخر مكالمة هاتفية بيننا، سألني: أين كتبك الأخيرة؟

بأسلوبي المعتاد الذي يختبر السائل، أجبته: أيها تقصد؟

وجدته يحدثني باستفاضة عما قرأ لي وما فاته من كتبي. ببساطة، كان متابعاً مدهشاً، كما لو أن حبر المطابع دائماً بين يديه.

تواعدنا على لقاءٍ قريب، لكنني لم أتوقع الخديعة من موت غادر.

تحوّل بنهايته المؤثرة إلى أيقونة في الضمير الجمعي للصحفيين.

العازب الكبير، زُف إلى السماء.

خبر رحيله المفاجئ وانفصال السماوي عن الأرضي في هذا الـ«خالد»، يهصر روحك ببطء مثل جسدٍ تشده الكلاّبات المعدنية في كل اتجاه.

خالد السرجاني، للمعرفة آياتُها واكتمالها.. وأنت وجهُها الساطع.

القديس الأخير

إلى حسين جبيل

في الذاكرة حائطٌ عليه صورٌ بألوان الشفق لرفاقٍ مثل ينابيع الشمس. لم يحرقوا سفناً، ولا صارت قلوبهم تماثيل ملح.

باقون في البال، كأن الفصول لم تمر من هنا.

واسطة العقد في هذه الصور للجميل حسين جبيل.. الجنة الوحيدة في صحراء الورق.

ذلك الرجل الذي ودَّع كل حروب التاريخ؛ لأنه يعشق الحياة. ترك كل شيء للطامعين في الحطام الصدئ للوجاهة، المتوغلين في الخواء والمعفرين بغبار التيه، والتفت إلى مواكب فنه وكتبه وموسيقى بليغ حمدي.. وتنهدات النساء.

ساحر الخطوط، يُخفي في مكانٍ ما -لعله قلبه- أسرارًا ومخطوطات عن خط الكحل الناعم، وفضل اللون الخمري الذي يصرخ في الدانتيلات الرقيقة، ولهفة النهود المتوثبة التي تطالب بحقها العادل في الظهور، حتى ترضع منها الغيوم والغوايات المعلنة.

يرى المرأة على صورة بُراق النبي: وجه فاتنة وجسد فرس عربية مطهمة.. حين تنسل إليك تهديك فراديس، وشجرة توت، وليلًا يصوم عن النهار وخرائط إلى مملكة الوصال.

ويعشق في بليغ عبقرية اللحن التي ترشق الأفق بالأمل، ودلال الرق والزخارف، والولع بالفلكلور الذي يجتاحك كقُبلة جامحة.

و«جوبي» لا يكبر أبدًا، كأنه «بنجامين بوتون» إذ يعكس اتجاه الزمن. تصالح مع الوقت حتى هزم أوّل شَيْبة في الرأس، وتفاوض مع نار الشغف، التي كلما تصاعدت ألسنتها ألقمها قلبه.

الهواء من حوله خدعة.. والهراء المنتشر تمثالٌ بشع نُحِتَ على عجل، لكنه يرمم الصورة كي يخلق أصلًا موازيًا، نقع جميعًا في غرامه.

أوراقه الغرائبية وألوانه الساطعة معجزته الخاصة. إن رسم نهرًا وضفتين، نبتت في النهر سفنٌ وعلى الضفتين حياةٌ تشتهي أن تكون بطلها الأخير. وإن رسم مقعدين، تهافت عليهما عشاق المدينة، وظللتهما شجرة نادرة ممتلئة بأعشاش العصافير الحائرة، حتى يمارسوا الحُبَّ عن تراضٍ مُحكم بإتقان.

وإن رسم ليلة، رأيتها أمام ناظريك تمضي نحو باب الصباح.

رسوماته تتحدى الجاذبية، تبقى على جدران الروح، فلا تسقط أبدًا.

يرسم الوجوه كأنها نصوص القداسة، يُذكي فيها الحياة والحيوية، وبلمسةٍ أخيرة من روحه الأثيرية الباسمة، يضيف إليها إعجازًا ما لا يُدرّك.

قد تراه بخلوده المعقود يمشي وئيدًا، مثل النهارات المتمهلة، ثم يغُذ الخطى ويطوي المسافات بأناقة، مدفوعاً بحصار الظهيرة، حتى يؤوب إلى غرفة تتلقف وقع خطاه، ويخفض جناح الود للرفاق كي يستدرجهم إلى مكيدة الفرح.

مشهدٌ لو حضره مصممُ رقص ذات يوم أو ليلة، لعقد العزم على استنساخه في عملٍ فني طموح.

بابتسامته النصفية الماكرة، يربك البهاء، الذي يربيه في أدراج مكتبه، وسط أقلام الرصاص وجهاز تسجيل صغير من البرونز كأنه قمرٌ في المحاق.

في ساعات القراءة، يعتزل الكون إلا قليلًا.

يمتد ذلك الانفصال عن العالم إلى ما يشبه التعبّد والصلاة. تنام الكتبُ في راحتيه الشائقتين العارفتين، اللتين تشبهان سلامه النفسي العميق.

في الاستراحة ما بين فصلين، يمتد بينك وبين هذا العائد من النسيان حديثٌ متشعب قد تتخلله وقفات حيرة وارتباك، من غير أن يمنعه ذلك من الاستمرار وطرحِ آرائه بوداعة كاهن في جلسة اعتراف.

يتكلم بصوتٍ أقرب إلى همس أطياف موغلة في البعد والغموض، وربما يشبه هذيان السحرة وهم يعقدون جلسة ليليّة تحت قمر كبير يتربع على عرش سماء مفعَمة بالنجوم.

معه قد تصدق فعلًا أن الشُهب والنيازك تلعب النردَ في مرابع السماء.

صيادٌ صبور، بنظرة الثعالب يمنحُ الوقت سرورًا عابرًا ويُسبغ على البحر الوسيع زرقته، حتى إذا جاءته سمكة عارية إلا من لحمها الرخو السخي، محظية تهديه حباتِ عينيها وتغفو بين يديه بسلامٍ كغزالةٍ دافئة، قلّبها يُمنةً ويُسرة، بتلذذِ الأوغاد الرابحين ومسح على خياشيمها برفق مثل عذراء غارقة، ثم مَس بئر جسدها المكتنز كأي قديسٍ انحاز إلى غريزته، قبل أن يُعيدها في زهدِ صوفيٍّ إلى سرير الماء!

ضحكتُه القصيرة المحتالة وشم الوجود. قد يُحدثك -تاركًا شايه يبرد- عن الجنية القروية التي يلتقي بها في العطلات، والقوارب الطائرة

التي تخرج منها يدٌ تلوّح له بوردة وأحلام مشدوهة كلما صادفته جالساً في مكانه المفضل في نادي اليخت، ثم يرسل إليك بعينيه الآسيويتين الضيقتين نظرة تقول «أنا الذي لم يُهدني أحدٌ وردة في حياتي كلها».. فلا تصدقه!

هذا القديس، المحتال، التقي، الماجن، المؤمن، المجدِّف، المسالم، المشاكس، الرصين، البشوش، هو كل ما تحتاجه لكي تصير من أتباع مذهب آية الله جبيل، الذي سيُربِّتُ على كتفك بكل نبل الفلاسفة، ويفيض عليك من حِكمته، كأن يقولَ لك وكحولُ الدهاء يفوح من فمه: في ألحان بليغ.. بلاغة الأمنيات.. إنها مثل ارتعاش الحب، بلا كلمات!

قبل أن تهز رأسك أو تقوم من مجلسك، وبألاعيب لا تنتهي، سيختفي القديسُ في حرير الهواء.

عَلَمٌ يرفرف وحيدًا

إلى محمد عطية

الوجه بريدٌ بعلم الوصول.

تماماً مثل قطفة النعناع، والكتب المجلدة بفتنة، وأقلام الرصاص المبرية.. تبدو هيئة محمد عطية.

قَسَماتٌ تتأرجح بين الحُبِّ والخوف والسعادة، وتقاطيع تشبه العَلَمَ المرفوع على السارية وهو يرفرف وحيدًا.

عظمة فيلسوف يتمنى الراحة ويراها عصيّة، وصبر مسافرٍ ينام فوق رُفوف الحقائب.

سحائبُ الودِ، والطفولة والأمل، وقد اختلطت بمهابة شيخٍ جليل، يحاور الصمتَ والفراغ، ثم يهبط إلى الدُّخانِ في وداعة متأنقة.

في صدره إخوةٌ مبعثرون، وحفنةٌ من خضرةٍ ذابلة، ورسوماتٌ ساحرة هي استعارة حيّة تورق في الروح، مثل قناديل الشِّعر والفراشات التي تراوغ اللّهَب.

هو المبدعُ البارع، الذي يُسمي الخطوط على أسماء أحلامه القديمة، ويرسم عصافيرَ فتهتز الأشجارُ والسهوبُ على الورق.

وهو الخلوقُ الصموت، الذي يفتحُ بَوَّاباتِ الأسئلة، ويرسل عتابَه الرقيق كأنه اعتذار.

ابن الفضة، وزيت الزيتون، والمراوح الصغيرة، ورمل العريش الأبيّ.

يجعل من أي صفحةٍ بيضاء مشروع ملاعب كرة، أو مسبحة كهرمان، أو مناطيد ملونة، أو فرحة حشود.

في قلب الليل، يشبه الشجرَ النائم في كسل.. يقفُ بظهره المكدود مثل حبال الزينة المعلقة في الممرات وعلى أبواب ميدانٍ استرد للتو حريته.

وفي خفة طائرٍ يتوارى عن الأنظار. لا تسل كثيرًا، فلا بدَّ أنه يعزف مقطوعةً متنوعة الإيقاع، متعددة المقامات، في المقابرِ المجاورَةِ.

يهتفُ للأهلي ويصنع للقلعة الحمراء بعض مجدها، بينا يلعنُ ذاكرة المهرجين، ويقفز بين بحيرات الدم حتى لا يكون شريكًا أو ضحية.

روحُه أملٌ، كما لو أنه آخرُ حبةِ قمح تنتظر طائرًا مهاجرًا ليلتقطها.

ثمة ندبةٌ في القلب، تركتها الأكاذيبُ والضلالات والخدع، وشجرة جميز عطنة، مثل قصاصاتِ الغش المطوية بين قضبان المقاعد الدراسية.

لا ينسى، لكنه يسامح؛ لأن عيونَ النبلاء لا ترى إلا المغفرة، وأيديهم تغرس على الشرفات دوماً نبتة الطمأنينة مثل ريحٍ مُرسلة.

إله الظل

إلى عماد صبحي

في هذا الضياء الواسع، رجلٌ أضربَ عن اليأس، ووزعَ المحبة على العابرين.

القلبُ المُتأهب للرّحيل، لم تردعه الصدمات الكهربائية عن الغناء الصالح للحياة.

في الغرف الصغيرة الضيقة، جمع الكتب والرفاق والأمل المستفيض، كما لو أنه مسودة وطن.

إله الظل، ونشيد البراءة، الذي استقر بين شوائب الأجيال مثل ومضةٍ هاربة إلى المستحيل.

لا وجه على الفضائيات، ولا اسم على الكتب، لكنه انخطافُ البرق حين تنشدُ الألق.

زاهدٌ وسط الشراهة وحريق الأيام الزاعقة؛ إذ يفارق الزمن ويمضي بخُطىً متباطئة إلى الحدائق التي تلتمع فيها الألوان مع الصمت.

يُنصِتُ إلى الريح وصلصلة القيود وتهدُّج الرثاء، ثم يجفف روافدَ الدمع التي تكاد تغافل وحِدتَه الطويلة.

دعوا قاربه هائماً بلا اسمٍ ولا شراع، فالمرافئ كلها في الانتظار، وابن الدلتا يعرف طراوة البحر المجلّل بالظلمة، ويتقن تنويم الموج والعاصفة.

يُمشِّط الحكايات، والأحلامَ المشدوهة والصداقات التي تتأكسد، ويختار عزلته الحميمة.

يربي بين جوانحه قطرات الندى، فلا يكبر، ولا يغضب من السماوات التي استولى عليها الأفق.

نهرٌ وادع الانسياب، يتمدد في شرايين الأيام، حارساً للقلب المُتعَب من تقلبات الخريف. كلما أصابه جرحٌ، نزع عن جسده الضماد.. ورسم ابتسامته المقدسة.

حبره الأسود لم يجف، والمطابع تنتظر.

لا بدَّ أن مكتبته تمتلئ بالدموع.

في المنوفية يهيئ الحقولَ للحصاد، مثل محراثٍ وفيّ، يهشُ الأرضَ والغيوم.

رصاصُ اليُتم أصابَ براءته. عاينَ الجزع، الذي يحرق العينين، لكنه دس في صندوق بريدِ الريح رسالةً، ونظرة تؤجج الهواء، ومضى على الدرب بلا توقف.

في قرية «الراهب»، مركز شبين الكوم، يحارب فيلقاً من ظلال، ويرفع راية الزمالك، حتى وإن أصابته شظايا الخسارة. واجه رجالًا معتمين أصابتهم لوثات الجنون والتعصب الكروي، إلا خاله العطوف، الذي أهداه معطف الانتماء.

يعثرُ في الأحجار التي تُدمي ركبتيه، لكنه يتخفف من اللعنات العميقة، وييممُ وجهَه شطر المدن التي كفَّنها الدخان.

ها هو العائد، الناسك، الصبور، يشن حرباً على سرطان العامية في صحافةٍ باتت تُحتضّر.

بلا أبناء يلصق عليهم اسمه، لكن له ورثةً لا يراهم، ينامون على ياسمين كتفيه، وهو: قيثارةٌ تتأوه، وتتخفى وراء المرايا المتصدعة. يخبز الحرمان في أفران السعادة، مصحوباً براحة الضمير ونعمة السكينة.

في زيجته الثالثة، وجد كنز الوداد تحت شجرة الأيام الزائدة. عبر بخفةٍ إلى المستقبل، فلم يجتر مرارة الطلاق ومنغصات الفراق. سماحتُه أحالت طمي المرارة عسلًا، وهو حنانٌ يرتعش.

الآن يدرك أن طريق الانكسارات مفروش بحُسن النية، وأن الوقت نحاتٌ ضرير.

بلا كراهية أو ضغينة، يُقطِّر الزمن من خيانة المرايا والضحكات المدانة وحفلات الجنون، ويستغفر الله من كل مطرٍ ذليل.. يتذكّر ثم يتنكّر.

عماد صبحي، الذي يوقد شموع الرجاء، لديه حُلمٌ بعيد، وعينان تسكبان الرؤى، ورائحة هذي البلاد.

حنة

إلى حنان كمال

عن الغريبة التي لا تنام،

عن الموهبة التي تنتصر للحياة،

عن «حنة» التي تغتسل بندى الفجر،

عن صدرها الذي حصَّن صويحباتها كقلعة،

عن جنَاحها الذي كاد يتكسَّر من طيَرانٍ خفِيضٍ،

عن ابتسامتها الطفلة التي ترفض أن تشيخ،

عن رائحة سكنتْ روحها والحدائق،

عن الموسيقى الهاربة من الهواتف المحمولة، والقهوة الهاربة من حواف الأكواب،

عن وجعٍ ثقيلٍ يلوي حسرة أحبتها،

عن حنان كمال، التي تحتفظ الذاكرة بصورتها وهي خريجة حديثة جالسة في صالة تحرير «الدستور» عام 1996، أو واقفة على محطة رصيف مترو الأنفاق، في انتظار ما لا يأتي.

فتاة جميلة العينين، مندهشة، عاطفية وذات لمعة بريّة في عينيها. ذات مشاعر متضاربة، كلّما استيقظت عاطفة، لعنت أختها.

الدنيا أصغر مما نظن وأجمل مما نعتقد.

ها هي حنان تحدثني عن فكرة السفر، وترددها الشديد كما لو أن شقتها القديمة لم تضع الحنين في الحسبان.

تأتي إلى دبي، وأزكيها للعمل، فتثبتُ نفسها كعادتها، وتصير قنديل المكان.

مهتمة للغاية، هادئة، متمهلة، غير أنانية، مع حِس فكاهي رقيق. هكذا أحبّها الناس.. إلا قليلًا.

تحاول إقناعي مرارًا بأن تقرأ لي فنجان قهوتي، فأعتذر. أترك مسافة كافية بيني وبين أرجوحة الغيب.

طريق العودة شائك ومؤلم.

من حادث سير خطير إلى أزمة صحية دقيقة، تصير حنان عمود البيت.

في علم النفس، أنت لا تستطيع التخلص من كابوس إلا عندما تحكي عنه.

وحنان تجيد البوح الذي لا يجرح.

بقيت كما هي، الأكثر قوة وتفاؤلًا. لا محنة يمكن أن تسرق جمالها وذاكرتها.

نعرف الآن أن الرحمة متعددة الأشكال والأسماء.

الآن تذهب أيام الحزن الشخصي الشفيف، الخاص، وغير المعد للمشاركة، الذي لا يمكن لحكايته أن تخفف من وطأته.

اليوم تستكين النفوس مجددًا إلى قدر يومياّتها، لكن التوجس لا ينام.

في المرة المقبلة، قد أسمح لكِ يا صديقتي بقراءة فنجان قهوتي، لنخرج معاً من سجون العزلة باتجاه أفقٍ جديد.

حنان..

على سبيل الجمال، انظري إلى انعكاس مرآتك.

عالم مارسيل

تعرف مارسيل أن الوطنَ جُرحٌ بطيء الشفاء،

لكنها تغنّي للجاذبيّة وتراود أشرِعَة الهواء

هي بيتُ الطمأنينة الأخير، الذي حزم الحقائب ورحل إلى أرضٍ بعيدة

وعيُها الصادق يهزمُ وحوشاً هزلية

تهمسُ كأنها تهتف: الذي يُساق كالقطعان، لا يمكن أن يصبح يوماً عماد البنيان

الهادئة بمكرها الطيب، قادرةٌ على فضح الهراء الذي يتناثر في الهواء

مشاكسةٌ تشاغب بلا خدوش؛ إذ تُفنّد أكاذيبَ الضِعة والنفاق

بلا صورةٍ ولا ادعاء، صنعتْ لها مكاناً في نفوس أحبتها

هذا العمق الذي يمكن أن تستشفه تحت غشاء بساطة كلماتها، هو الذي يجعلها تستحوذ عليك بالمحبة الصادقة

تهديك شغفَها السماويّ، الذي يخترقك بالولع، قبل أن تنصحك: العناق الأول وحده هو رونق البهاء الأخير

حين تهبُ من شُباكها نسمةُ رقة، يرتعش قوسُ قزح

ومع كل فقدٍ أو ألمٍ خاص، نتعلم معها أن اللؤلؤ حُزن المحار

وندرك أن على هذه الأرض حلمٌ يقود صاحبه إلى الخلود ويعطي للحياة معنى خاصاً

مارسيل، وحدها.. عالمٌ كامل يرسم الجبالَ بلونِ البنفسجِ، ويصادق نزهة النحلَ، وصهوةَ النهرِ، ولون الأرجوان

مارسيل، لم تعد المسافات تخجل من إثم الغياب، فيا لعلو الجرحِ.. في هذا البعاد.

قمر مطرق على النافذة

في ليالي المدينة المفجعة، ريحٌ شتوية تئن في الخارج، كأنها تتألم وتنعى المفارقين.

يجول الموتى الأحياء شوارعها الموحلة، بحثًا عما يخبئه عابثون في جيوبهم وأرواحهم من موتٍ صاعق، كما لو أنه لطمة القدر.

هكذا أفقِدُ واحدًا من النجباء والنبلاء في عالم الصحافة: حازم دياب.

كنتُ أؤجل الكتابة عنه، علَّه ينجو، ونطوي صفحة الألم والورم الشرس.

غير أني خسرت مجددًا رهانًا آخر مع الموت.

لا تعرف حقيقة متى يهبط الليل..

حتى الساعة العتيقة باتت تجهل إجابة السؤال السرمدي: كم بقي من الزمن حتى يترجّلَ السّواد؟

الساعة توقفت، حتى صار الوداع جارحًا، لكن الذكريات عاجزةٌ عن شطب الملامح من ذاكرة الروح!

ماذا بوسعنا أن نفعل حين يغيب عنا أحبتنا؟! لا نعود نملك نحوهم شيئًا سوى الاحتفاظ بهم على هيئتهم القديمة، وهم يعبرون الليل بقمر مطرق على النافذة.

يخيم الظلام إلا من نور خفيف في السقف. ذلك أنك هناك، تلوح لي كابنٍ وصديق بكامل وداعتك.

نم الآن يا حازم.. ارتح من سفرك البعيد.

سنلتقي حتماً، فأنصِتُ مجددًا إلى صوتك الخفيض وهو يحكي بصفاءٍ نادر عما جرى لك في ساعاتك الأخيرة.

يقولون إن الزمن كفيل بالنسيان، لكنه كفيلٌ أيضاً بالتذكر للأبد.

ما رواه الحَكَواتي

إلى وحيد الطويلة

مثل جملةٍ أولى مشاكسة،
لا طرف القلمِ يمسكُها
ولا لوحة المفاتيح تدركُها،
لكنها كنزك المنشود؛
لأنها سينحدر منها
فيضُ الكلام،
يبدو وحيد الطويلة
أشبه بصياغةٍ متقنة
تاهتْ في الزحام،
يبسطُ لك يده
لمصافحةٍ سريعة
تُحيّدُ الشراسة،
يرميك بنظرةٍ متوهجة،
يدعوك إلى احتساء الشاي
تحت قمرٍ أجرد
في مقهى «البستان»،

يُعدِّلُ ياقة قميصه
المنبهرة بالهواء،
ويبتكر لنفسه حيلًا لبقة
كي يَخبِز لك من قمح الكلام،
أما هو
فقد اختار المشقة؛
إذ مشى على صفحة الماء،
واحتال على أسماك القرش
المتربّصة باللحم،
والحيتان المفعمة بالسّعار،
ثم عاد ليُخبرنا:
«في بطن الحوت،
تركتُ المصباح مُضاءً
فرقصتْ العتمة»
بزهوه المعتاد يباغتك:
«احتفظتُ بالقبعة
كي أخفي رأسي
عن أعين الطامعين»!
يدلفُ من «باب الليل»
ويحكي:

«رأيتُ المحيطَ يَضْحك بِسِنَّتَين ذَهَبِيَّتَين،
ولم أكن بحاجةٍ إلى مزيلٍ للعرق»!
ربما أهدى الماء سيرته
و«ألعاب الهوى»
العصيّة على المحو
ونظَّم في القاع حفل توقيع
تحدى به الفناء!
في حياةٍ أخرى،
كان المغني الذي ملأ رداءه بالموسيقى
وحنجرة تسرق شجن الناي
(إن أنتَ أنصتَ للهمساتِ المُهَدْهِدَة)
والمدّاح الذي لا يشمتُ في الجنائز
ولا يبكي على شاهدٍ من رخام!
الحكّاء
(الذي يجول في «وسط البلد»
على حِصَانٍ شَاهِقِ البَيَاض)
يعرفُ سحرَ الشراشف
وعبق المناشِف
حين تلتفُ على قطيفةِ
أجسادٍ تنضجُ على مهلٍ
تحت إضاءةٍ خافتة.

ووسط التفافاتِ الدّخان
سيعرضُ عليك مجموعته
من النّيازكِ النُّحاسِيّة،
ويعترف لك:
«في جيبي شَجَرَةُ دردَار
وحفنة أصدافٍ مكسورة،
وفي غرفة العناية المركزة
غافلتُهم..
وعلّقتُ لوحة «فيروز» الأخيرة،
وكأي محتالٍ ماكر..
أخفَيتُ ثروتي فِي شُقُوقِ الحَائِط،
لا تنس أني مُعلِّمٌ سيء
لتمارين الفتور،
فلا تصدق وسامتي وأوسمتي
ولا تقرأ «حذاء فيلليني»
لأني سيد الأوجاع المكابرة:
حنيني للمنقوص دائماً
ووجهي أبوابٌ مستعارة
تنفَتِحُ مِن تِلقاءِ ذَاتِها،
لكن قلبي طائرتان ورقيّتان
وغيمة واحدة»

المكابد

إلى محمد حربي

إنه
الأرضُ
التي ترتّقُ الخطأ
الرسامُ،
الذي يُحذر من المذابح والمباحث
العقلُ،
الذي يُشتقُّ من التبصّر
ويضيء الاتجاه
العشبُ،
الذي يمنحُ الصخرةَ طمأنينتَها
السماءُ،
التي تقود الحلم
في وجه ما اهترأ
من بقايا الكلام
المجذاف،
الذي يُصِرُّ

الماء،

الذي يأسرُ القارب

وينتهي في كلّ الاتجاهات،

محمد حربي..

كله سلامٌ

هذا الأبيّ،

الذي يحرسُ الشاطئ جيّدًا

ويحمل

حجرَ المكابدة

من مظالم الخفّة

ويداوي

القلب المترنّح

ويقاوم الصدأ

بحبر الصدق والانتماء

وفيوض الأمل

رفيقي

يا صفصافة العمر

الماء لا يسكن

في المدينة

التي اعتراها الخوف

والأرصفة التي صادرها

أعوان الخليفة

لن تمنع الحلم من المرور

لا بأس، إذًا،

ببعض الخساراتِ الناصعة

تجارة الموتى

سيقولون: زويل مات،
ثم تنهال السطور
ناعية وناعبة
مات؟!
حقاً مات!
نعم، مات!
وتتنزل عليه من كل حدبٍ وصوبٍ
سحائب الرحمات
وكما هي الحال دوماً..
هناك تجارٌ لكل وفاة!
سيذكر الناس محاسنه ومآثره الكثيرة،
لكنهم سينسون خطاياه
وغلامه الأشهر
في القصر وعلى الشاشة
من دافع عنه باستماتة
وطفق يُلمِّع وجهه ببشاشة،
قبل أن يُفرجوا عن صورٍ

يميلون فيها باتجاه الفقيد

كي يثبتوا لنا

أنهم عرفوه..

شافوه

ليبرروا فتح صهريج الذكريات

ويحكوا عنه النوادر والمُلَح

ويشيدوا بحكمته وحنكته

وبروعة الجائزة

بشفاهٍ تمصمص

وأعين دامعة!

سأستغفر لهم الله

ولـ«النيل»

والأكاذيب والخُدع

وأمضي

في تلك الحياة

الخافضة الرافعة!

البنَّاء العظيم

سلامٌ إلى روحك أيها المعماري الكبير حسن فتحي (١٩٠٠-١٩٨٩)، الذي بنى كثيرًا ولم يهدم أبدًا.

أتذكرك الآن، يا صاحب «عمارة الفقراء»، ورائد تقديم نماذج لمبانٍ تليق بالبشر وتحترم آدميتهم وتقاليدهم.

نذرتَ عمرك وجهدك من أجل تشييد ملايين المساكن، من القرنة في الأقصر والمسيب في العراق وغزة في فلسطين، وباكستان، والقارة السمراء، وبقيت وفياً لمنزلك الأثري في درب اللبانة في حي القلعة بالقاهرة.

نزعتَ عن البشرية جينات القسوة التي تولد بها، لتحل محلها النباهة والسماحة،

رأيتَ البيوت من نافذة في قلبك لا يراها غيرك،

خلقتَ المدنَ من بياض أسنانك، وضياء عينيك،

أخذتَ تلملم ما تبعثر من التقاليد والبيئة، ثم ترتبها بعناية على الجدران والأسقف والأسطح، لتصنع من أسطورة حلمك حوضاً للياسمين.

بقيتَ حتى الرمق الأخير تؤمن بالأبواب الجميلة، والنوافذ التي تدلل الهواء؛ لأن الأبواب السميكة مقهورة ومحرومة من طرقات الزائرين وسعاة البريد وحوارات العشاق على جانبيها.

حسن فتحي، أيها الفارس النبيل، سلاماً سلاماً.

صلاح جودة

سبعة أشياء لا تعرفها عن الخبير الاقتصادي الراحل صلاح جودة، صاحب الخيط السردي الساحر على شاشات التليفزيون:

- كان من عشاق دار الأوبرا، وكانت حفلات الموسيقى العربية إدمانه الجميل

- انتظم في ممارسة رياضة الجري والمشي منذ سنوات في النادي الأهلي، وهو أهلاوي صميم، لكنه لم يكن متعصباً في تشجيعه

- من سكان حي الدقي، ميدان المساحة

- كان يزور عائلته وأهله في بلقاس أسبوعياً، وكان يعتز بكونه فلاحاً

- ارتبط بعلاقة مودة قوية مع الفنانة الراحلة سعاد حسني، واستمرت بينهما الاتصالات الهاتفية حتى خلال رحلة علاجها الأخيرة في بريطانيا

- رفض عرضاً من رئيس الوزراء الأسبق إبراهيم محلب بأن يصبح مستشارًا اقتصادياً له، خاصة أنه كان يريد منصباً بصلاحيات كاملة لتنفيذ رؤيته الإصلاحية على أن يحاسب على خطته وبرنامجه وما تم تحقيقه

- تمتع بخفة ظل ابن البلد، بما في ذلك السخرية من نفسه، ولا مانع لديه مثلًا من أن يشكو في الاستوديو أثناء التصوير أنه لا أحد من مصففي الشعر يسوي له غرته، في إشارة إلى كونه أصلع.

موت الموت

أريد أن أصنع فيلماً عن موتِ الموت

عن هؤلاء المغادرين بلا استئذان

ولا وداعٍ لائق

عن خالد السرجاني، الذي زُف إلى السماء ونمتْ على كتفيه حديقة

وأشرف البيومي، الذي خانه القلب والأصدقاء ولدغته أفعى الحياة

والبراء أشرف، صانع الناي الذي أخفى ثقوب ثلاثينيته بالغياب

ورحاب يونس، الزفرة الحائرة التي عاشت لتُنسى،

وشيماء الصباغ، التي أصابتها طلقة الولع وهي تحمل وردة

هؤلاء هم الأبطال/ الضحايا

الذين سيصفق لهم القدرُ بحرارة

لأنهم راوغوا الوقت قليلًا

حتى ينام الموت في جيوبهم السرية

وفي الشهقة الأخيرة

مدوا أجنحة طيشهم

وصار كل واحد منهم.. ما يريد!

البائس

في كل عصر، هناك ظواهر ثقافية وصحفية عرجاء، تجمع بين الترويج المسف لأفكار مغلوطة وبين رائحة مصالح خاصة ليست فوق مستوى الشبهات.

في 2 يناير 2016 دبّج الكاتب الصحفي مفيد فوزي مقالًا في جريدة «المصري اليوم» بعنوان «هذا رأيي»، قال فيه:

«سؤال مباشر: هل توافق مؤسسة الرئاسة على إجراء حوار إنساني مكحل بالسياسة مع الرئيس السيسي وتؤثر المهنية البحتة على الهمس في أذن الرئيس: مفيد فوزي حاور مبارك ٥ مرات وحاور المشير طنطاوي مرة واحدة وكل وزراء الداخلية من أحمد رشدي إلى حبيب العادلي، وحاور رؤساء حكومات عاطف صدقي وعاطف عبيد ونظيف».

لم يكتف مفيد فوزي بهذا التسول الفج، وأعاد طلبه في أكثر من صحيفة ووسيلة إعلامية، بينها لقاء مع المدعو أحمد موسى في برنامجه الملّاكي على قناة «صدى البلد». تسلح فوزي بنفاقه وباروكة شعره الشهيرة، وانطلق يروي عن لقاءاته مع مبارك وطنطاوي، متناسيًا أننا كنا نشاهد تلك اللقاءات وخاصة مع مبارك، وفنونه في التذلل والنفاق، والسؤال عن ساعات نومه وعظمة مواقفه.

فوزي، الذي قال في مقال غارق في عسل مديح رجال الجيش إذ يتولون مناصب مدنية («المصري اليوم»، 24 سبتمبر 2016) «لديَّ طاقة إيجابية «ميري»، صاحب سوابق بائسة.

في عام 1995 أصدر القضاء السعودي حُكماً على الطبيب المصري، محمد خليفة، بالجلد 80 جلدة، بعد إدانته باتهام مواطن سعودي باغتصاب ابنه دون سند، رغم أن شهادة طبية أكدت تعرض الطفل للاغتصاب.

روى الطبيب كيف أن أعراض التوحد والعُزلة بدأت تظهر على نجله، مع نوبات بكاء حاد، وعندما عرضه على أطباء، أكدوا له تعرضه للاغتصاب عدة مرات. وأقر الطفل في النهاية بأن من كان يغتصبه هو مدير المدرسة.

تقدّم الوالد ببلاغ إلى السلطات السعودية يتهم فيه مدير المدرسة باغتصاب ابنه، ولكن فحصاً طبياً آخر أجري بمعرفة السلطات زعم أن الطفل لم يتعرض للاغتصاب، فعوقب الطبيب بالجلد، ونُفِّذ الحُكم، لتنشر مجلة «روزاليوسف» على غلافها عنوان «جلد المصريين في السعودية»، الأمر الذي أثار ضجة إعلامية في حينها، ختمها الرئيس حسني مبارك بتأكيده أنه لن يضحي بالعلاقات مع بلدٍ بأكمله من أجل شخص واحد فقط.

وقال مُبارك وقتها، ردًا على سؤال صحفي عمّا ستقوم به الدولة المصرية في هذه الأزمة: «عايزنّي أعمل إيه يعني؟ أضحي بالعلاقات علشان شخص واحد؟».

أما مفيد فوزي، ربيب مهرجان الجنادرية والمرتزق من هذه المكرمة الأميرية أو تلك، فقد دبَّج مقالًا في مجلة «صباح الخير» هاجم فيه الطبيب محمد خليفة، وقال له كما قال سيده: «اصمت، وكفاك تخريباً للعلاقات مع السعودية».

يا لبؤس عبيد عصر مبارك!

وعلى هامش وليمةٍ أخرى من الولائم الرمضانية التي تشتري الولاء وتروض الذمم، تغنى الرجلُ ذو الشعر المستعار بما رأى وسمع وتذوق، وكتب في جريدة «المصري اليوم» (2 يوليو 2016) ما نصه:

«القطانية» نسبة إلى السفير السعودي في مصر «أحمد القطان» حافظ على أشكال معمار وزخارف مصرية في مبنى ملحق ببيته «بيت كل سفير للسعودية في مصر» ومذهب القطانية يرفض المباني «الطرشة» التي تقام في غفلة من الزمن وبلا ذوق، وعندما بنى مبنى جديدًا كرر المبنى الأساسي بالكربون، والقطانية مذهب «ابدأ بنفسك أولاً» وحينئذ لن تصادف مناظر مؤذية، وفي الزمن القطاني بنيت السفارة السعودية الجديدة، قطعة من المعمار الجميل العصري، وزودت أمنياً بأحدث ما في العالم من تقنيات، وبعيدًا عن هوية الجزر السعودية المصرية، فقد جمعتنا بالسفير القطان مائدة إفطار شهية ضمت كتيبة من الإعلاميين وأصحاب القنوات الخاصة، وبعد الإفطار كانت الجلسة على ضفاف نيل مصر، وقفز إلى رأسي سد النهضة وتناقص المياه مستقبلاً، وقلنا للسفير القطان: في يد السعودية أن تضغط بطرقها الدبلوماسية على إثيوبيا للوصول إلى منتصف الطريق، واستمع السفير السعودي لوجهة النظر، وأحمد القطان نصف وزنه إصغاء للآخرين والنصف الآخر دعابات مصرية بطعم سعودي».

مفيد فوزي:

من أَثْقَلَ بَطْنَهُ بالطعام، أوقعه الشره في التُّخَمَة

ومن انحنى، صار مطية لأولي النِعم

..وبالهناء والشفاء!

أحمد مراد

«ينبغي على الآلة أن تصنع، وعلى الأساطير أن تصير سلعة، وينبغي على العقل البشري أن يلج حلقة الإنتاج الصناعي، ليس كمهندس لها وحسب، بل كمستهلِك، ومستهلَك أيضًا»[1]

من مصور شخصي في قصر الرئيس إلى مستشار في مجلس تخصصي تابع لرئاسة الجمهورية.

مصور، وظيفته الأساسية أن يلتقط صورًا «حلوة» للرئيس حسني مبارك وعائلته، حتى وإن كان قد قال عقب إزاحته من السلطة:

«كنت أحس بنفسي مثل دكتور جيكل ومستر هايد، شخص بحياة مزدوجة: في النهار أقضي وقتي في أوساط حسني مبارك، الرجل الذي دفن أحلام المصريين على مدى ثلاثة عقود، وفي الليل أستمع إلى أصدقائي يلعنونه ويشتمونه»[2].

لن نسأل أحمد مراد عن سبب استمراره في العمل مصورًا شخصيًا للرئيس؛ إذ يبدو أنه ورث المهنة والموقع عن أبيه، لكننا نود أن نسأله: ما هو شعورك وأنت تنتقل من حضن رئيس إلى حضن آخر، بنفس السلاسة التي تتعامل بها مع روايات وأعمال ثبت بالدليل الدامغ أن بعضها مأخوذ عن أفلام أجنبية[3].

The Tattooist مثلًا

---

1 Edgar Morin, The Stars, Richard Howard (Translation), Lorraine Mortimer (Foreword), Minnesota: University Of Minnesota Press, 2005.

2 http://www.almasryalyoum.com/news/details/125566

3 http://khamseena.blogspot.com/2014/06/10.html

أو..

«الفيل الأزرق» حاليًا

ذلك الفيلم الذي احتل مساحة لا بأس بها من سيرتك الذاتية الموزعة مع خبر المنصب الرفيع الأخير.

لا بأس في أن تكون رواياتك الأعلى توزيعًا في مجتمع يعاني حالة إغماء جماعي. ابتسم، فأنت نجم الرواية، مثلما أن عمرو دياب نجم الغناء، وغادة عبدالرازق نجمة التمثيل.

لا أود الاستفاضة، وأن أحكي مثلًا عن الاتهامات الموجهة إليه بالأدلة والصور كسارق محترف لأغلفة الكتب الأجنبية[4].

حسب بيان لرئاسة الجمهورية، يهدف المجلس التخصصي لتنمية المجتمع، الذي اختير أحمد مراد لعضويته، إلى «معالجة الظواهر الاجتماعية السلبية مثل ظاهرة أطفال الشوارع والتحرش ومكافحة الأفكار المتطرفة والهدامة، فضلًا عن أهمية تجديد الخطاب الديني وتصويبه، وكذا الاهتمام بالطب الوقائي والصحة العامة».

سؤال واحد يلح على الذهن: في أي مجال من هذه المجالات سيكون مؤلف «الفيل الأزرق» و«فيرتيجو» و«1919» مفيدًا؟

سؤال آخر أكثر إلحاحًا: ما هي المؤهلات الأكاديمية أو الخبرات التي يتميز بها الشاب المهذب (وأنا أسمع كثيرًا عن تهذيبه الشخصي) لكي يكون عضوًا في هذا المجلس؟

---

4 https://www.facebook.com/photo.php?fbid=10204174888708913&set=a.1526010706691.2071239.1127352080&type=1&theater

ما نعرفه هو أنه يجب أن تتوافر في مرشح لمنصب من هذا النوع قدرات ومهارات علمية كافية إضافة إلى «أمانة» علمية وعملية، وليس مهارات شخصية في قفز الحواجز.

لا تبحثوا طويلًا عن إجابة في زمن الحيرة.. فقط ابتسموا.. كي تكون الصورة «حلوة».

الموت الأول للأبنودي

من عجبٍ أن تنتشر في عام 2014 شائعة وفاة شاعر السلطة والسلطان عبدالرحمن الأبنودي، قبل عامٍ من موته الأكيد لاحقاً، وأن يتداولها صحفيون وجمهرة من أهل الفيسبوك، من دون أن يكلف أحدهم نفسه عناء التحقق من مصداقية الخبر ومصادره.

بقي هؤلاء خلف الشاشات، باردين في أرحامهم، قانعين بالجهل المفضي إلى البؤس وصناديق العتمة الخشنة، وهم يبتلعون الشائعات السخيفة مثل عملات معدنية مطلية بنحاس الثرثرة.

فقدوا حتى القدرة على عدم المبالاة.

اكتفوا بالرايات الساذجة، أو المتعجرفة، وعاشوا هائمين بحقائق مهشمة الوجه في معسكرات العبودية المختارة.

الصحافة الآن، ماء راكدٌ في الشقوق.

والنغمة المبتورة لها الآن جمهورٌ ولاعبون!

رحم الله الصحافة والصحفيين، والثقافة والمثقفين، في بلاد «الخال» و«العم» و«الباشا».

انظروا في مرآة فيسبوك وتويتر: لتدركوا إلى أي دركٍ هبطتم.

أخي

كل عام وأنت بخير يا يسري.

كل عام وأنت أيها النبيّ المهاجر في صحة وسعادة وسلام مع النفس.

تراودني منذ زمن فكرة الكتابة عنك يا أخي الحبيب ورفيق ذكريات الطفولة والصبا.

ها أنذا أكتب عنك كلمات عفو الخاطر في عيد ميلادك.

الأخ الذي احتارت فيه الطيبة: بطل الجودو المسالم حد الدهشة؛ المخترع الصغير الذي نجتْ شقة العائلة مرارًا من حرائق تجاربه المعملية؛ الفتى المتأنق الذي يهوى الأقلام الفاخرة والعطور الثمينة.

هل تذكر أغنية مايكل جاكسون PYT؟

أغنية حوَّرت معنى اسمها المختصر، ليناسب اسمك. ثم كتبت تلك الحروف على باب غرفة السطح ذي الطلاء الأسود.

هل تذكر حادث السير الذي تعرضت له، ونحن في الطريق إلى النادي الصيفي، لكننا تواطأنا لإخفاء سره، حتى لا يحول دون ذهابنا عصر ذلك اليوم إلى حوض السباحة؟

هل تذكر شجاراتنا على نظامي وفوضاك، و«ابتكار» الآيس كريم مع «سفن أب»؟

هل تذكر السجائر التي كنت أشم رائحتها، لكنني لم أرها حتى اليوم بين أصابعك، حياءً منك وتأدباً أمام شقيقك الأكبر؟

طبعاً تتذكر كل هذا، فقد عهدتك دائماً ذا ذاكرة حديدية وفية للتفاصيل.

يسري، أخي وصديقي ومستودع أسراري، كل سنة وأنت طيب.

المغامر

إنها ليلة الجمعة.

الهدوء يلف منطقة باب اللوق، عنق وسط البلد المنزوي كحبة قمح منسيّة.

بعد سنواتٍ من الغياب، كان لي لقاءٌ جديد مع الروائي المتمرد محمد علاء الدين.

لم تنقطع صلتي به منذ أن التقينا في هذا المكان تحديدًا قبل سبع سنوات.

هذه المرة، أهداني نسخة من روايته الجديدة «كلب بلدي مدرب» (دار العين). التهمت رُبعها في ليلة واحدة. كعادته، كان مرحاً بخدوش عميقة، ومغامرًا بيقين حائر.

يشبه جامع يرقات، يعزف على آلة الأرغن في الكاتدرائيات في أيام الآحاد، وفي باقي أيام الأسبوع يهرب إلى ملذات الحياة.

نحلةٌ تطن في القاهرة تارة، وترتوي من الرحيق في برلين تارة أخرى، ولا بأس بالبحث عن شغف الوردة في ميلانو ما بين الفينة والأخرى.

الضاحك الساخر، يتلمس وسط ركام أحلامه المكروبة، بقايا أمل.

كان لقاؤنا الأول في أول أيام عام 2007. هكذا أخذنا نستقبل عاماً جديدًا بصداقة تنمو يوماً على صدر يوم.

في اليوم التالي، فاجأني محمد علاء الدين بكتابةٍ جميلة عني في مدونته، بعنوان «صقر يلتهم الأشياء برقة».

صارت كلماته فراشات تملأ المكان وتضيف إلى قاموس البهجة ألوانًا جديدة.

هذا الصدق الذي يفيض من كلماته يمنح الآخرين شعورًا استثنائيًا بالمودة والاطمئنان.

الأكيد أنني أتطلع إلى لقاء جديد، في حديثنا الممتد في المكان والزمان.

مقام حنظلة

ناجي العلي..

«لاوكون»[5] العرب

اغتالته يد الغدر في 22 يوليو 1987.

مات منفياً؛

لأن الجناة لا يصنعون وطناً.

الرصاص لغة القتلة؛

الوطن لغة الموهوبين

الذين يكرهون الصمت

والرجال الجوف

والقاعات المكيفة

والأبواب الواطئة..

يعلو وجهه فوق الرخام

في منفاه الإنجليزي

وهو باقٍ في مكانه

فقط لأنه لا يحِبُّ الهرولة

---

[5] لاوكون، كاهن طروادي حذر الطرواديين من قبول هدية الإغريق وإدخال الحصان الخشبي داخل أسوار المدينة. وبينما كان على شاطئ البحر هو ونجلاه هاجمتهم ثعابين بحرية وضربتهم حتى الموت. أشار إليه فرجيل في الإنيادة، وهو من الميثولوجيا اليونانية.

في كل ليلة يزوره حنظلة

ليضع على قبره وردة

ويشكو له من أن الوضع

صار أسوأ!

مات ناجي، لكننا نتذكره جيدًا.

لا أحد سيتذكر اسم القاتل الخسيس.

شحادة سويدان

رجلُ الصفحة الأخيرة..

يسافر في قطار الليل، وحين يقوده إلى محطة النهار ينتمي إلى عائلة التعب.. وينام

ومع كل صباح، تُلقي عليه أشباحه التحية في «شارع الصحافة» في الكويت، وتطلب منه إعداد قهوتها المفضلة على شرفة الخيال

شحادة سويدان..

ابن الناصرة، آية النكبة الكبرى، وبوابة الغزاة

الفلسطيني حتى النخاع.. في قلبه تنمو شجرة زيتون ليست للبيع

ابتسامته حزنٌ وفي غيوم عينيه مقصلة

هو نموذجٌ ساحرٌ خرج للتو من مشروع روايةٍ لم تكتمل

المعلّمُ المُتَطَلّبُ، المغرم بالقصائد والحنين، الذي يصنع المساء والظهيرة، ويملأ رأسه بخمر الظمأ، يجيد اختلاق الصدف، فيما ينز العرقُ من وجهه وجسده، تاركًا أثره على قمصانه اللامعة ذات الأزرار المفتوحة، لتزيد من شحنة صخبه في أرجاء المكان

يكتب الأخبار المفرحة كأنها معجزة، ثم يتشبث بالوحدة مثل غصنٍ تتقاذفه أمواج البحر

ولأن المثاليين مكانهم في الصف الصعب من الأشياء، فإنه كان يشكو للحياة من الحياة ويرفو أثر الطعنات بذكرياتٍ مستعملة حتى الموت

في المسير الطويل، عبر جسورًا كثيرة، نقلته إلى مزيد من الدروب والارتباك

يتذكر المُتهوِّس بالكتابة والعمل، حزناً غابرًا، وغضب السلطة، وغنج الصبايا، والصِبا الذي مر عجولًا، وأول وَخط الشيب، فيحِنُ إلى الوطن

تتعلم منه أن الأزمات العامة قد تكون أقسى من المآسي الشخصية؛ وحين لا ترى الضوء قد تيأس، أو تسجل اعتراضك بالغياب. إنها رسالة احتجاج جارحة

خصمٌ شرسٌ لرُسل الذل الجدد.. هؤلاء الانبطاحيين ذوي الكفوف السمينة والأقلام المستعدة للإذعان على وثائق الزيف وخرائط المرارة ومعاهدات الندامة والنخاسة

عاشقُ الأرض والحقيقة، الذي يكز على أسنانه مع كل مفاوضات سلام، ويسأل عن مصير صفقاتٍ تحذف من الذاكرة حيفا ويافا.. والناصرة

في شبابه، كان المناضل الوسيم مفتوناً بنفسه وبقلبه صريع الحُبّ سريع العطب.. الشام تعرفه جيدًا، حد التعب

في لحظات الغضب المكبوت، يقع شقيق الزوابع، بين براثن ثاراتٍ لا تنتهي.. وكانوا يستدرجونه إلى فخ الاستفزاز لكي يُزجوا الوقت بحمم انفعاله ويتوسلوا تعليقاته الشقية

هو ذلك الرجل الذي قد يعود إلى البيت بأنفٍ مدمى ويقول لأهل بيته من خلال أسنانه النازفة: لا بأس إنه حادث بسيط. تعثَّرَتُ الليلة بأوباش يريدون احتكار الوطن

هذا الوقار الشاهق راح.. لم يبق منه سوى بحة الصوت الحزين، وعبارات مبتورة عن عذابات الغياب

سجائره، ليست الوحيدة التي تشتعل. مع كل عود ثقاب، تجده يثقب سِترَ الظلام بشرارته الخاطفة

يضغط على سيجارته حتى يكاد يقضمها، وهو يصب اللعنات على القائد الذي يحترم سائقه أكثر من شعبه

حكّاء مدهش، تتأرجح كلماته بين إحساسٍ بالذنب والبؤس، لكن حذار أن تبتعد عن مرمى حكايته!

الذكاء وقلة الحظ يصنعان أشخاصاً ذوي صفات غرائبية، أقلها السخرية الفظة الصادرة عن روحٍ مُعذبة، لكنك لا تملك إلا أن تُحِبَّ شخصيته الساخرة المحبطة وعباراته النابهة وسرعة بديهته

في الظهيرة، قد تصادفه كما لو أن جسده نصف غارقٍ في الرمال، وهو يضع نفسه فوق ميزان الأسى، كي يعرف كم كيلوغراماً زادته خيباتُ الأمل

وفي أول المساء، تراه يغذ الخطى، وهو يُحدّثك عن خطته اليوم كي يكتب موضوعاً خفيفاً، عن فن قتل الذاكرة!

وفي منتصف الليل، يقول لك: لا تستعجل الفجر المحتجب، فالزمن يلعب معنا الورق بثقة زائدة فوق طاولة الأيام المتواطئة

في آخر مرةٍ شاهدته فيها، كان يجري فلا يوقفه شيء. مارقاً كالسهم، من دون أن يلتفت خلفه. كان يصرخ مادًا ذراعيه في الفراغ: انتظرني يا قدَري الطيب!

اطمئن أيها الراحل الجميل، لن تكون غريباً بعد اليوم.

رسول الرواية

في نهر الطريق، سقطتْ حقيبة أيامي، فلم يخرج منها إلا قلبي وروايتان لغابرييل غارسيا ماركيز.

لكن ماركيز مات. فر إلى سديم الغيب، في «زمن الكوليرا»، ولملم معه هشاشة وجهٍ طويل باهتٍ بطبيعته أقرب إلى لون الصدأ، وتمرد شَعرٍ تائه ضل طريقه إلى كل الاتجاهات.

أيتها الملائكة، أقرِضوا شفتيه ابتسامة، كي يغني للنهار الذي يطلع هناك على سجيته.

رحل المبدع الذي يهدينا بعض التفاصيل والمقارنات غير المقصودة التي تباغتنا، فتؤلمنا.

غاب الكاتب الذي يُعلّمنا أن النساء الجميلات سببٌ رئيسي لأمراض القلب والشرايين.

أفلتَ من فخ الحياة ذلك الروائي الذي يلقننا أهم دروس الواقعية السحرية: صدِّق.. مادام الأمر جميلًا!

هكذا صار له ملايين التابعين والمؤمنين، حتى لو قال على لسان إحدى بطلاته مثلًا: حين كنتُ في الرابعة من العمر كان لي طفل على هيئة دُمية، ولا أعلم أين ذهب حين كبرت؛ أعتقد أنه مرض وأنا في العاشرة ومات!

ماركيز لم يعد هنا.. بل هناك!

لا أستبعد أن تتعطَّل نقَّالةُ الموتى وهي في طريقِها إلى جثَّته، فيما محبوه يَخْتِمونَ الدعاء له.

حتى الروايات تصب الماء المعطر نائحة على جسده المسجى.

الصمت، موتٌ معلن، ومقدمة لحِدادٍ طويل.

وداعاً يا رسول الرواية. فقط، لا تسرف في الغياب.

بائع الكتب

يبسط بائع الكتب المعرفة أمامنا، فتمتد من الأوراق إلى أرواحنا وعقولنا.

نستغرق، نحن نُسّاك المعرفة، في تأمل الكتب المرصوصة كصلاةٍ لا تنقطع. كلما تأملنا عرفنا أكثر. وكل كتابٍ جديد هو وعدٌ جميلٌ يفعل فعله الغامر البهيج، فيثير أسئلة العقل أو يُحدِثُ اضطراباً في الفؤاد.

لا نبحث في وجه بائع الكتب عن ملمح ولا نتبادل معه سوى كلمات قليلة، لكنه يبقى مرتبطاً في ذاكرتنا بتلك المتعة المطلقة للقراءة.

قد تنشأ بيننا وبينه ألفةٌ مع تكرار مرات الزيارة والتأمل، وربما الدخول في حديث عام، فنتعرف على اسمه، لكننا نبقى دائماً على مسافةٍ منه؛ لأننا في الأصل منشغلون عنه بتلك الصفحات الغارقة في حبر الطباعة والمعرفة.

فقط حين يغيب نتذكره؛ نسأل عنه الباعة المجاورين، ونفتقد وجوده وأهميته في حياتنا نحن القراء العارفين والممتنين لدوره الجوهري في حياتنا.

بائع الكتب هو أصل الحكاية. هو الضرورة في زمن الكماليات.

الرجل الذي يقترح علينا بخبرته كتباً وروايات وإصدارات حديثة، ويحتفظ لنا في مكانٍ ما بنسخةٍ نادرة من كتاب أو مجلدٍ نبحث عنه أو نتطلع إلى قراءته. هو الشخصية الأهم في حياتنا الثقافية.. لو كنا نعلم.

يمضي بكامل اليقين، ليعرض علينا كنوزه وأهم مقتنياته، ويتسامح معنا مرة في السعر، أو يغالي فيه مرات. المهم هو أن هذا الجسر ينشأ بيننا وبينه، فيصبح رسول المعرفة.

تتورَّم ساقاه من فرطِ الوقوف على ناصيةٍ مع كتبه ومصدر رزقه، أو التجول مع حمولته الثمينة بين مشترين محتملين هنا أو هناك.

إن غاب، أو وافاه الأجل، يتسرب الحزن من صدورنا. نرثيه، بعد فوات الأوان، فقط لندرك أن كل هذا الجمال المعرفي كان معنا يوماً ما، لكننا تعاملنا معه بآليةٍ تستعصي على الوصف.

هكذا يغيب وجهه، ويبقى في الذاكرة كأنه نقشٌ فرعوني: بائع كتبٍ لا يُنسى.

وشاية نيويورك

أقرعان يتشاجران على مشط!

تلك هي حال باسم يوسف وخالد أبو بكر في صراع كوميدي بدأ في نيويورك ولم ينته في القاهرة، في سبتمبر 2014.

وبغض النظر عن رأيي القائم على أن الشتَّام أقل ضررًا من الواشي، خصوصاً إن كانت الوشاية نوعاً من البلاغ الكيدي لمقام الرئاسة والأجهزة الأمنية التي تنشط فجأة في مثل تلك التوافه من الأمور، فإن القصة في مجملها تُبين إلى أي دركٍ انحدرت بنا الحال في مصر عامة، وفي مجال الإعلام بشكل خاص. ذلك أن الأزمة المفتعلة تقع بين شخص يقول إنه محام دولي، لكنه أخذ يتكسب من تقمصه دور المذيع في أحد برامج التوك شو، وشخص آخر مهنته الطب لكن شهرته الأساسية جاءت من برنامجه التليفزيوني والحرب التي خاضتها ضده جهات مختلفة لإسكاته.. ولو إلى حين.

محام وطبيب.. فما علاقة الاثنين بالإعلام إذًا؟

لا أحد يدري، ولا أحد يفهم في بلد العجائب؛ إذ كيف لأي منهما الظهور الإعلامي وجني الشهرة والمال من العمل التليفزيوني دون أي تأهيل أو تدريب ودراسة سليمة. هل يحق لصحفي أن يستيقظ في صباح يوم صيفي حار ليقرر أنه سيبدأ اليوم عمله كمحام دولي أو حتى العمل كمحامي «خُلع»؟ وهل يمكن لصحفي آخر أن يقرر بمناسبة اقتراب فصل الشتاء أن يعمل طبيباً أو جراحاً؟

الغريب أن ما لا يحق للصحفي، يحق لغيره، في بلدٍ يشغل فيها حاصل على بكالوريوس علوم منصب رئيس مدينة الإنتاج الإعلامي،

بعد أن تولى من قبل منصب وزير الإعلام. لا أحد يفهم كيف هبط صفوت الشريف (بكالوريوس علوم عسكرية) أو أنس الفقي (بكالوريوس تجارة) أو «اللواء» أحمد أنيس على وزارة الإعلام، ولا تحاول أن تحكي لأحدٍ سيرة أي منهم «المهنية» حتى لا تصاب والسامعين بجلطة مفاجئة.

باسم يوسف تحت القشرة الصلدة التي تغلف سخريته، هناك ما يستحق التأمل. أما خالد أبو بكر فهو أضعف من أن تتقبله الكاميرا وأضأل من أن يقتنع به الجمهور.

باسم يوسف ارتكب خطأ، لكن خالد أبو بكر ارتكب خطيئة. وإن كان من الضروري محاسبة الأول، فأرجو ألا ينسى أحدٌ نصيب الأخير.

أما الوزارة و«المدينة» وشلة المخبرين على الهواء أو في المطارات، فإننا نتمنى لهم تمام الشفاء.. أو سلامة الوصول.

محافظ «الإصباعيلية»

اللواء أحمد بهاء الدين القصاص أخذ راحته أكثر من اللازم وظن أن زمن السخرة والاستعباد قائم، فأشار بإصبعه الوسطى لأهالي الإسماعيلية في إساءة تستحق المحاسبة إن لم يكن المحاكمة، فضلًا عن العزل من المنصب.

الإسماعيلية هي واحدة من محافظات مصر التي نعتز بها ونعرف تاريخها ومكانتها؛ لذا لم يكن لائقاً أن تُترك لمحافظ «الإصباعيلية».

اللواء عادل لبيب، وزير التنمية المحلية وقتها، استدعى اللواء القصاص، إلى مكتبه لاستجوابه، بعد قيامه بالإشارة بإصبعه الوسطى للمواطنين خلال لقاء جماهيري بمواطني قرية أبو سلطان بالإسماعيلية في نوفمبر 2014، وهو ما أثار غضب شعب الإسماعيلية الذي طالب بإقالة المحافظ على الفور، لكن التغيير تأخر -كالعادة- إلى حين صدور حركة التغييرات في المحافظين.

لواء يعاتب لواء، فأين المشكلة؟

لم يكن كافيًا أن توبخ أجهزة الدولة محافظاً يشير للأهالي بإصبعه الوسطى.

كان يجب على اللواء أن يعرف أنه محافظ الإسماعيلية، وليس «الإصباعيلية». أما أهالي الإسماعيلية فإنهم كانوا مطالبين باتخاذ الإجراءات اللازمة لتوصيل صوتهم للمسؤولين ورفض استمرار هذا المحافظ في منصبه ولو يوماً واحدًا.

تخيلوا معي مشهد هذا اللواء المحافظ وهو يتحدث محتدًا عن أزمة الإسكان، فيقول للأهالي: «اللي عايز مكان يسكن فيه النهاردة أجيبْله منين.. وعنده خمسة عيال أو ستة عيال.. إحنا في مشكلة كبيرة .. الناس لازم تفهم». ملوِّحًا بإشارة من إصبعه الأوسط «.. اللي قاعد يزرب عيال.. إحنا أد خمس دول أوروبية.. ما كل واحد يبص لنفسه».

هذه اللغة الاستعلائية التي تُذَكِّرك بوزير الداخلية سليط اللسان زكي بدر، وبعض من الأسلوب السوقي للرئيس المخلوع حسني مبارك (في موضوع الإنجاب تحديدًا)، هي جريمة في حد ذاتها.

المحافظ المذكور أرغى وأزبد، ودافع عن نفسه في بيان هزيل، قائلًا إن تداول مقطع الفيديو الخاص بلقائه بأهالي قرية أبو سلطان بمركز فايد الإسماعيلية، تم استخدامه للإساءة له عن عمد وعن قصد «فهناك الكثيرون ممن يتصيدون ويتربصون».

وأشار إلى أن الإشارة بحركة الإصبع جاءت بشكل عفوي ودونما أي نية أو قصد وأنه لم يقصد منها أي إساءة أو إهانة ولم تأت بالشكل الذي تم تداوله.

غير أن ما رأيناه كان واضحاً وكاشفاً بما يكفي. وبأسلوب «عفوي» نقول للمحافظ: ارحل!

حسناً فعل أولئك الذين تصدوا للمحافظ وسوقيته وإشاراته الخارجة، وربما خففت الانتقادات الحادة من الأهالي ووسائل الإعلام من الغضب الشعبي إزاء اللواء القصاص، لكنه ظل إجراءً غير كافٍ لمحاسبة المحافظ على تدني أخلاقه وسلوكه. وإذا كان نشطاء قد دشنوا هاشتاج (#صباع_المحافظ)، بموقعيّ التواصل الاجتماعي فيسبوك وتويتر، اعتراضاً على الموقف، فإننا نقول للمحافظ الهُمام إن أهالي الإسماعيلية كانوا يستحقون محافظاً أفضل منك. لم يطلب

أحدٌ شيئًا من ميراثك الشخصي، وإنما هناك حقوق عامة ومطالب عادلة يجب الاستجابة لها. أما إذا كنت عاجزًا عن القيام بمهام منصبك الذي تتقاضى عنه أجرًا من المال العام وضرائب المواطنين الذين تهينهم، فإن عليك أن تبتعد عن العمل العام وأن تكتفي براتب التقاعد يا سيادة اللواء.

ليس معلوماً في أي بلدٍ في العالم أن معايرة المواطنين هو الأسلوب الأمثل للإصلاح، وليس مفهوماً إلى متى يستمر مسلسل الاستعلاء في معاملة الأهالي في هذه المحافظة أو تلك.

ولأن حصيلتي من اللغة لا يمكن أن توفي الأمر حقه، فإنني أكتفي بالقول إنه ربما تأخرت الدولة في التحرك كي ننقذ أهالي الإسماعيلية من المحافظ ذي الإصبع الذي توهم أن المحافظة هي عزبته الخاصة التي نالها كمكافأة نهاية الخدمة.

رحيله عن المنصب كان ببساطة تصحيحاً لخطأ وتصويباً لغلط وتقويماً لما اعوج في سيرة محافظة بقيمة الإسماعيلية.

إهانة قارئ جميل

القارئ العزيز أحمد جمال،

لا تحزن، ولا تبتئس، فأنت الأعز وهم الأذلاء

أنت المستقبل المضيء، وهم أشباح ماض قبيح

أنت القارئ المثقف، وهم غابة الجهل الموحشة

أنت تتحسس سيقان السماء، وهم جُبِلوا على شهوة الليل

أنت رهافة الوتر، وهم النشاز الذي ضلّ المسافة

أنت الرؤية على مهل، وهم المتراس الذي يقصقص الوجود

أنت الطريق، وهم الأوراق الجافة والريش المحترق

تسكبُ روحُك كأسَ نبيذِها، في جرة الأمل، حتى يضيء الفؤاد،

لكنهم يصطادون الغيوم الراعشة برصاص الأذى؛ لأنهم يكرهون لألأة النجوم

في الأوطان التي تصنع المراثي وتهين العقول، يكون وجه السلطة مثل الفضيحة، والصباحات الكسيحة، وحافلات المدارس التي تسوق صغارنا إلى الموت حرقاً، والقطارات التي لا تُكفِّن ركابها إلا بنار مستحيلة.

اللعنة على كل من دفع شاباً حُرًا إلى أن يفرطَ خيطَ الدّمع.

لكل الأشياء فترة صلاحية.. حتى آلة البطش.

آية ابتلعها البحر!

ميرفت زكريا
تلك القصيدة الملحمية
سيرة مختصرة للضوء
عرفتُها في صيف 1986
غزالة خرجت للتو
من أتون شهرة
«أبوالعلا البشري»
ورحلته الأخلاقية،
لكنها لم تُضبَط متلبسة
بحُبِّ أضواءٍ عابرة
فبحثت عن نفسها التائهة
في بيع الموسوعات الأجنبية
انطلاقاً من مكتبٍ فخم
في عمارات العبور!
جمالها الموروث
يصيب الرِّيح بالدهشة
ويُعطِّر ثوب البحر الأزرق

وينشر رائحة القرنفلِ

في زوايا الروح

فتهفو إليها

بحنانٍ خالٍ من المقاومة

طيور الماء لا تتركُ أثرًا،

لكن شفتيها تفعلان!

تلك الزوجة الشابة

التي تُفلت يدها من يدك

باحتراز تام،

ثم تهديك وردة البراءة،

مشيتُها

عشبة ترتجف،

تنهيدتها

سماء تطل على نافذة

ضحكتها

بهجة مغمورة بضوءِ القمر

وحدها نظرتها

شرسة كالحقيقة

وحقيقية كالحياة

فجأة.. اختفتْ

غابتْ عني أخبارها

ثلاثة عقودٍ كاملة

قبل أن تعود الغريبة

في صورة آيةٍ ساطعة

ابتلعها البحر:

مضيفة «مصر للطيران»

التي استقرت

في أعماق البحر المتوسط،

كأنها أرادت

في بلاغة الختام

أن تحمي نظرتها الساحرة

من شفقة أحبتِها

وأحزان

من غابت عنهم

منذ ثلاثين عاماً!

كأنه الأمان!

إلى عمرو عادل

الفزع لا تمحوه كلمة
والأسى
أعمق من كلمات المواساة
الأصدقاء الذين يغادرون
لا يستأذنون سوى الحياة
أما الموت فهو رفيقهم المفضل
وبعكس عقارب الساعة
فإنهم يُيممون وجوههم شطر الزمن
عمرو عادل
هذا الجليل الجميل
يُعلِّمك الإنشاد
كلما رأيتَ ابتسامته
صَافِياً رائِقاً
أو لمحته يمشي
مثل موجةٍ هاربة
يحدق فيه البحر؛

إذ يراه مُزيناً بالتماعة وجهه

كأنه الأمان

يا عمرو

من الآن يلمس المساء غيرك؟

من يجتازه الوقت وهو في «الغاليري»

كأنه يلتقط ومض الصباح

أيها الصابر

أغلق عينيك حتى لا أراك

وامسح على جسدك وعِظَامِك

كي تتم المعجزة

الملاءة النظيفة البيضاء

ستفتقد ألمك النبيل

وسنكمل نحن المسيرة

نصقل أحزاننا

على فراقك

بأرواح كسيرة

وأيدٍ خاوية

سيرة موجزة

ياسر ثابت، صحفي مصري، من مواليد ألمانيا عام 1964.

حاصل على درجة الدكتوراه في الصحافة عام 2000.

عمل مديرًا للأخبار في قناة «سكاي نيوز عربية»، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة (2011)، ومنتجاً أول للأخبار في قناة «الجزيرة» في قطر (2002)، ورئيساً لتحرير غرفة الأخبار في قناة «الحرة» في الولايات المتحدة (2007)، ورئيساً للتحرير في قناة «العربية» في دبي، الإمارات العربية المتحدة (2007).

له مؤلفاتٌ عدة، بينها:

«يطل الخجل من حقيبتها» (دار زين، القاهرة 2018)

«موسوعة كأس العالم: من أوروغواي 1930 إلى روسيا 2018» (دار كنوز، القاهرة 2018)

«الملك والفرسان الثلاثة: عرب روسيا 2018» (دار كنوز، القاهرة 2018)

«قبل الذروة بقليل» (دار زين، القاهرة 2018)

«قانون رأس السمكة: أمة في خطر» (دار دلتا، القاهرة 2018)

«الجيش والدولة: إدارة البلاد والعباد» (دار زين، القاهرة 2018)

«لصوص وأوطان» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2018)

«فاسدون والله أعلم» (دار دلتا، القاهرة 2017)

«الوزير في الثلاجة: كواليس صناعة وانهيار الحكومات في مصر» (دار دلتا، القاهرة 2017)

«أهل الضحك والعذاب» (دار اكتب، القاهرة 2017)

«سيرة اللذة والجنس في مصر» (دار اكتب، القاهرة 2017)

«موسوعة حصاد الأولمبياد: الدورات الأولمبية في 120 سنة» (دار كنوز، القاهرة 2016)

«باشوات وأوباش: التاريخ السري للفساد» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2016)

«خنجر في المرآة: نصوص ووجوه منسيّة» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«جمرتان: تمارين على النسيان» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«الموت على الطريقة المصرية» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«حرائق التفكير والتكفير: شخصيات وصدمات» (دار اكتب، القاهرة 2016)

«العصا والمطرقة: صراع السلطة والقضاء» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«صديق الرئيس: حكام مصر السريون» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«دين مصر: أمراء الدم والفيديو» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«وطن محلك سر» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«المتلاعبون بالعقول: سقطات الإعلام في مصر» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«حروب الهوانم» (دار اكتب، القاهرة 2015)

«مصر قبل المونتاج» (دار دلتا، القاهرة 2015)

«حكام مصر من الملكية إلى السيسي» (دار الحياة، القاهرة 2014)

«غرفة خلع الملابس: وجوه وقياسات» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«أجمل القتلة» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«ذنب» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«الصراع على مصر: ذئاب مبارك والعهد الجديد» (دار كنوز، القاهرة 2014)

«أيامنا المنسيّة» (منشورات ضفاف، بيروت/منشورات الاختلاف، الجزائر 2014)

«تحت معطف الغرام» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«مراودة» (دار اكتب، القاهرة 2014)

«زمن العائلة: صفقات المال والإخوان والسلطة» (دار ميريت، القاهرة 2014)

«صناعة الطاغية: سقوط النخب وبذور الاستبداد» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«رئيس الفرص الضائعة: مرسي بين مصر والجماعة» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«حروب العشيرة: مرسي في شهور الريبة» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«دولة الألتراس: أسفار الثورة والمذبحة» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«محاكمة الرئيس: البحث عن القانون الغائب» (دار اكتب، القاهرة 2013)

«شهقة اليائسين: الانتحار في العالم العربي» (دار التنوير، القاهرة 2013)

«قصة الثروة في مصر» (دار ميريت، القاهرة 2012)، (طبعة ثانية، مكتبة الأسرة، القاهرة 2013)

«هيا بنا نلعب: عن الأوطان والأوثان» (دار اكتب، القاهرة 2012)

«فضة الدهشة: تغريد على غصن تويتر» (دار العين، القاهرة 2012)

«لحظات تويتر: ألف تغريدة وتغريدة» (دار العين، القاهرة 2011)

«جرائم بالحبر السري» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2010)

«حروب كرة القدم» (دار العين، القاهرة 2010)

«فتوات وأفندية» (دار صفصافة، القاهرة 2010)

«فيلم مصري طويل» (مركز الحضارة العربية، القاهرة 2010)

«كتاب الرغبة» (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2010)

«جرائم العاطفة في مصر النازفة» (الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2009)

«يوميات ساحر متقاعد» (دار العين، القاهرة 2009)

«قبل الطوفان: التاريخ الضائع للمحروسة في مدونة مصرية» (كتاب «ميزان»، القاهرة 2008)، (طبعة ثانية، دار كنوز، القاهرة 2013)

«جمهورية الفوضى: قصة انحسار الوطن، وانكسار المواطن» (كتاب «ميزان»، القاهرة 2008)، (طبعة ثانية، دار كنوز، القاهرة 2013)

«ذاكرة القرن العشرين» (مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة 2001)

«موسوعة كأس العالم» (مدبولي الصغير، القاهرة 1994).

الفهرس

المقدمة	7
أم كلثوم	13
أسمهان	17
لغة فيروز	19
كيمياء السعادة	22
ذياب مشهور	25
مطربات اليقين المُزعزَع	26
اللحن الخفيّ	30
روحٌ مرسلة	32
محمد خان	34
سعيد صالح	36
عمر الشريف	38
نور الشريف	40
خالد صالح	43
فيروز الصغيرة.. لم تكبر	44

ملك عاصم	46
ليلة غادة على انستغرام	48
تحية كاريوكا	50
فتنة الظهر العاري	55
مارلين مونرو	59
نيكول كيدمان	63
ماريون كوتيار	67
روبن وليامز	71
آلان ريكمان	73
غرام فرنسي	75
صانع الأرابيسك	77
تثقيف الموتى	80
مقامات ناجي	82
لكنك صديقي!	83
البراء.. والبراءة	85
أبناء البكاء	88

السارق المقدس	**90**
الكتبجي	**91**
القديس الأخير	**94**
حنة	**98**
عالم مارسيل	**100**
قمر مطرق على النافذة	**103**
ما رواه الحَكَواتي	**106**
المكابد	**108**
تجارة الموتى	**110**
البنَّاء العظيم	**114**
صلاح جودة	**117**
موت الموت	**119**
البائس120	**121**
أحمد مراد	**122**
الموت الأول للأبنودي	
أخي	**125**

المغامر	128
مقام حنظلة	129
شحدة سويدان	131
رسول الرواية	133
بائع الكتب	135
إهانة قارئ جميل	138
وشاية نيويورك	140
محافظ «الإصباعيلية»	142
آيةبتلعها البحر!	144
كأنه الأمان!	147